مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية
Jazan University Journal of Human Sciences (JUJHS)

القيم الدينية عند شعراء اليمن في العصور المتأخرة مقاربة وصفية تحليلية

علي حسين راجح
كلية الفنون والعلوم الإنسانية ،جامعة جازان ، المملكة العربية السعودية

Religious values among Yemeni poets in later periods Descriptive analytical approach

Ali Hussein Rajeh
College of Arts and Humanities, Jazan University, Kingdom of Saudi Arabia

DOI	RECEIVED الاستلام	EDIT التعديل	ACCEPTED القبول
https://doi.org/10.37575/h/edu/22002	2024/04/24	2024/10/13	2024/10/16

NO. OF PAGES عدد الصفحات	YEAR سنة العدد	VOLUME رقم المجلد	ISSUE رقم العدد
27	2025	2	13

الملخص:

يحاول هذا البحث أن يرصد تجليات القيم الدينية عند شعراء اليمن في العصور المتأخرة، وينظر إلى هذه القيم بوصفها تمثّل روح الأخلاق والقيم الإنسانية المستمدة من الأصول الدينية الإسلامية.

وتحددت المساحة المتاحة لهذا البحث في حدود زمانية هي مرحلة العصور المتأخرة التي تمتد من أواخر العصر العباسي إلى مرحلة حكم الأتراك العالم العربي الإسلامي، ومكانية تشمل بلاد اليمن وما ارتبط بها من شعراء.

وكانت المقاربة الوصفية التحليلية منطلقًا للدراسة في هذا البحث ، فمن خلالها يمكن تحديد بعض القيم واستنطاق القضايا التي تناولها الشعراء سواء أكانت في مجال القيم الروحية التي يخاطب فيها الشاعر ربه - عزّ وجلّ - ، أو تلك القيم الإرشادية التي كانت الشعراء يخاطبون فيها مجتمعاتهم. وعلى وفق ذلك اتجه البحث إلى رصد تلك التجليات وتصنيفها ومقاربتها موضوعيًا وفنيًا.

الكلمات المفتاحية: القيم الدينية، شعراء اليمن، العصور المتأخرة.

Abstract:

This research aims to trace the manifestations of religious values among Yemeni poets in later periods, and to considers these values as the spirit of ethics and human values derived from Islamic religious principles.

The time space of this research is limited to the late eras that spans om the late Abbasid era to the period when the Turks ruled the Arab-Islamic world, while the area limit includes the land of Yemen and the poets associated with it.

This research uses the descriptive and analytical approach, through which some values can be identified and issues addressed by the poets can be observed, whether in terms of spiritual values in which the poet addresses to his Lord Almighty, or those guiding values in which the poets communicate with their communities.

Keywords: Religious values, Yemeni poets, later perio.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد:

فإن القيم الدينية تدل على مجموعة من القواعد والمبادئ المنبثقة من التشريعات الدينية التي تهدف إلى تقويم المجتمع، وتصحيح سلوكياته، والارتقاء بها، وهي تشيع في أوساط المجتمع الذي ينطلق منها للحكم على كل ما يرتبط بها من قناعات وسلوكيات سلبًا أو إيجابًا، وغالبًا ما تتداخل معها القناعات المجتمعية وتتحد بها بما يوافقها ويصبغها بصبغة مجتمعية خاصة.

ويتجلى هدف هذا البحث في رصد تجليات القيم الدينية عند شعراء اليمن في العصور المتأخرة، التي

يُنظر إليها بوصفها تمثّل روح الأخلاق والقيم الإنسانية المستمدة من الأصول الدينية الإسلامية.

وينطلق البحث من التساؤل الآتي: ما القيم الدينية التي شاعت عند شعراء اليمن في العصور المتأخرة؟

وبالرجوع إلى مكتبة الدراسات الأدبية لشعر اليمن تبيّن أنها لم تتضمن أي دراسات مشابهة، وبناءً على ذلك يمكن النظر إلى هذه الدراسة بوصفها أول بحث علمي أكاديمي يختص بدراسة هذه القيم عند شعراء اليمن في العصور المتأخرة.

وتحددت المساحة المتاحة لهذا البحث في حدود زمانية، هي مرحلة العصور المتأخرة التي تمتد من أواخر العصر العباسي إلى مرحلة حكم الأتراك العالم العربي الإسلامي[١]، ومكانية تشمل بلاد اليمن وما ارتبط بها من شعراء.

وكان من اللافت أن المادة الشعرية للقيم الدينية عند شعراء اليمن، توزّعت على معظم الشعراء الذين ظهروا في تلك العصور، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر من هذا الشعر، يتساوى في ذلك شعراء المديح، مثل: الحسن الهبل، وأحمد الآنسي، وابن حمير، وابن هتيمل، وشعراء الغزل، مثل: ابن شرف الدين، والشعراء من ذوي السلطة، مثل: عبدالله الصليحي وعلي بن المتوكل، والشعراء الذي عُرفوا بالتقوى والصلاح وغلب عليهم الجانب الديني، مثل: البرعي والحداد والحسن الجلال، وتبعًا لذلك تفاوت حجم هذه المادة الشعرية عندهم ، وكان لشعراء الزهد والتصوف النصيب

الأكبر منها، فيما تراجعت هذه النسبة عند الشعراء إلى بضع قصائد[٢].

وكانت المقاربة الوصفية التحليلية منطلقًا للدراسة في هذا البحث، فمن خلالها يمكن تحديد بعض القيم واستنطاق القضايا التي تناولها الشعراء سواء أكانت في مجال القيم الروحية التي يخاطب فيها الشاعر ربه ـ عزّ وجلّ ـ ، أو تلك القيم الإرشادية التي كانت الشعراء يخاطبون فيها مجتمعاتهم. وعلى وفق ذلك اتجه البحث إلى رصد تلك التجليات وتصنيفها ومقاربتها موضوعيًا وفنيًّا.

وأمام هذه المادة الشعرية الوفيرة كان على الباحث أن يفاضل بينها وأن يتخيّر منها ما يفيد دراسته بعد أن يصنفها وفق الاتجاهات التي تضمنتها الدراسة، وأن يرتبّها على أساس حجم المادة الشعرية ومدى تكرارها وكثرة ورودها عند الشعراء.

وتضمنت الدراسة ثلاثة وعشرين شاعرًا مثّل شعرهم هذه القيم، بعد أن وقفت الدراسة أمام عدد كبير من الشعراء ظهرت القيم الدينية في شعرهم تجاوز عددهم الثلاثة والأربعين شاعرًا.

واتكأ البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أفاد منها، وأسهمت في إثرائه، كانت دواوين الشعراء في مقدمتها، وكتب التاريخ التي تضمنت شعرًا ينتمي إلى العصور المتأخرة في تاريخ اليمن. ومثلت ندرة المصادر، وكون بعضها ما يزال مخطوطًا ... أبرز المصاعب التي واجهت الباحث، فضلًا عن عدم توافر دراسات

(١) فضّل الباحث استخدام هذا المصطلح بدلًا من (عصر الدول المتتابعة)؛ لأنه يتجاوز الحديث عن متغيرات الحياة السياسية في تلك العصور، بما توحي به هذه التسمية من إيحاءات توهم بربط الأدب ومتغيراته بالمتغيرات السياسية، إلى الاهتمام بدراسة النتاج الأدبي الشعري بشكل مباشر مستقل، كما أن استخدام هذا المصطلح تسمية لهذه المرحلة الزمنية شاع عند بعض الباحثين . ينظر: في أدب العصور المتأخرة، د ناظم رشيد، منشورات مكتبة بسام، الموصل، ١٩٨٥م، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، د. عبد العزيز الدوري، شركة الرابطة للطبع والنشر، بغداد، ١٩٤٥م.

(٢) سترد تراجمهم في صفحات البحث

سابقة في هذا الموضوع، لانصراف كثير من الباحثين عن دراسة
الأدب في هذه العصور لصعوبة الوصول إلى مصادر دراستها، فكثير من دواوين الشعر مازالت مخطوطة، ومن غير السهل الحصول عليها والبحث فيها.

وتمظهرت القيم الدينية عند شعراء اليمن في العصور المتأخرة، غالبًا، في اتجاهين:

- القيم الروحية (الإلهيات): وهي القصائد التي توجه بها الشعراء إلى الخالق، ـ عزّ وجلّ ـ ، يناجونه، ويبتهلون إليه، ويتعبدونه بالدعاء والاستغفار والتوسل وشكره والثناء عليه...
- القيم الإرشادية (المواعظ): وهي الأشعار التي تخاطب المجتمع وتعمل على معالجة بعض مظاهر الخلل الناتجة عن أسباب شتى، لعل أهمها قصور الوعي الديني ... وتبعًا لهذا التمايز، فإن الغاية الإرشادية الوعظية جاءت واضحة بدرجة كبيرة في هذا النوع، عبر حث المجتمع على التوجه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والتمسّك به والنصح بالصبر والإيمان بالقدر، والإشادة بحسن الخلق، والابتعاد عن الذنوب، والتحذير من الدنيا والتذكير بالحياة والموت...

وتوزعت دراسة القيم الدينية عند شعراء اليمن في العصور المتأخرة على مبحثين، سبقهما مقدمة، وتمهيد في الدلالة اللغوية والاصطلاحية لكلمة (القيم) وتلتهما خاتمة بأهم نتائج البحث وعرضًا لمصادر البحث ومراجعه.

التمهيد

في الدلالة اللغوية والاصطلاحية

- **الدلالة اللغوية لـ (القيمة) :**

تنوعت الدلالة اللغوية لـ(القيمة) في معاجم اللغة، وبالرجوع إلى لسان العرب فإن الكلمة وردت بمعنى: الحكم على الشيء، ومنحه القيمة التي يستحقها، "والقِيمة: ثَمَنُ الشَّيْءِ بالتَّقْوِيم. تَقُولُ: تَقَاوَمُوه فِيمَا بَيْنَهُمْ =".[١]

والقيم بمعنى: الاستقامَةُ والاعتِدَال وعَدَمُ المَيل[٢]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .[٣]

والقيم ـ أيضًا ـ بمعنى: النظام، وفي لسان العرب "وقِوَامُ الأَمر، بِالْكَسْرِ: نِظامُه وعِماده"[٤]، والقوام: العد[٥]، كما وردت كلمة القِيمَة بمعنى السياسة والقيادة والرعاية، فـ "والقَيِّمُ: السَّيِّدُ وسائسُ الأَمر. وقَيِّمُ القَوْم: الَّذِي يُقَوِّمُهم ويَسُوس أَمرهم" [٦].

وعلى وفق ما تقدم فإن القيمة بالمعنى اللغوي تحمل معاني عدة متشابهة ومتقاربة كالتقدير، والصلاح، والاستقامة والاعتدال، والنظام والعدل، والقيادة والرعاية...

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت ، ط٣، ١٤١٤هـ: ٥٠٠/١٢ (ق و م)

(٢) نفسه: ٤٩٨/١٢

(٣) سورة الروم، الآية ٣٠

(٤) لسان العرب: ٤٩٩/١٢(ق و م)

(٥) نفسه: الصفحة نفسها

(٦) نفسه: ٥٠٢/١٢

- **الدلالة الاصطلاحية لـ(القيمة):**

القيمة في الدلالة الاصطلاحية كلمة تدل على معانٍ عدّة، منها ما له علاقة بالجانب الروحي، ومنها ما له علاقة بالجانب المادي، ومنها ما له علاقة بالمحيط الاجتماعي، ويظهر الأثر الديني بما فيه من قداسة[١]، "فالقيم تجلي شعوري يليه إدراك معرفي، عقلي لما هو موجود كدعم وتعزيز أو رفض لهذا السلوك وتلك الأفعال في مواقف محددة. وهذا ما يكرّس في المحصلة تقابل ما هو فردي وما هو جماعي، والمقبول والمرفوض" [٢]، وهي تعبّر "عن أحكام أخلاقية، عن أوامر عن تفصيل عادات أنماط للسلوك"[٣]، وهي أيضًا "مجموعة من القوانين والمقاييس تنشأ في جماعة ما، ويتخذون منها معايير للحكم على الأعمال والأفعال المادية والمعنوية"[٤].

وعلى وفق هذه الدلالات الاصطلاحية فإنه يمكن القول إن القيم: هي مجموعة من المعايير والقواعد والمبادئ التي يضعها الشارع وتشيع في أوساط المجتمع الذي ينطلق منها للحكم على كل ما يرتبط بها من قناعات وسلوكيات سلبًا أو إيجابًا. وهي في عمومها جملة من المقاصد التي يسعى المجتمع إلى ترسيخها، والتقيّد بها، والحكم من خلالها، وعدّها مستوىً ومقياسًا ومعيارًا يُحكم بمقتضاه، ويُقاس عليه، ويُحدّد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه.

المبحث الأول: القيم الروحية (الإلـهيات)

اتجه شعراء اليمن في العصور المتأخرة –بشعرهم– إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ ، وعبروا عن أحاسيسهم الصادقة تجاهه وعن حاجتهم الدائمة له، متبرئين من حولهم وقوتهم إلى حوله وقوته وجبروته.

وكان هذا الشعر ملاذًا لهم، يهرعون إليه كُلَّمَا سَمَتْ أرواحهم لخالقها ـ سبحانه وتعالى ـ وكُلَّمَا أحسَّت نفوسهم بالحاجة إلى الارتباط بالله وحده، والتوجّه إليه، والاعتراف بين يديه بالقصور أو التواني عن أداء ما يستحقه من الطاعات والعبادات.

ومن أشهر اتجاهات القيم الروحية عند شعراء هذه العصور: المناجاة، والدعاء، والاستغفار، والتوسل.

- **المناجاة:**

كانت لحظات التأمل والتفكّر بمثابة محطات استراحة، لجأ الشُّعَرَاء إليها، وحطَّوا فيها رحال لهوهم وطيشهم، ريثما يتابعون المسيرة ويعودون لحياتهم الأولى. ولكن تلك اللحظات شهدت لدى بعضهم، ولادة أبيات وقصائد ترجمت المشاعر والأحاسيس التي اكتنفتهم في أوقات المراجعة مع النفس والصفاء الروحي.

وصدرت مناجاتهم عن نفوس شفّت وعذب وردها، فتوجهوا بكل مشاعرهم نحو خالقهم، معبرين عن حبّهم العميق، وإيمانهم به، وهذا ما كشفت عنه أبيات الخطَّاب

---

(١)عبد الرحمن، سعد، السلوك الإنساني، تحليل وقياس التغيرات، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٩٨٣م :١٥٧

(٢) الجراري، عباس، مفهوم القيم وفلسفتها واشكالية الواقع والمثال في منظور الإسلام، ندوة حول "أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر"، الدورة الربيعية لسنة ٢٠١٠، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الدورات"، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط: ١٢٦

(٣) مسعود، عبد المجيد بن، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، الدوحة، قطر، ع ١٩٩٩،٢٧م: ٣٦-٣٧

(٤) بركات، أحمد لطفي، في فلسفة التربية، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٨٦م: ٢٥٠

الحجوري[١]: الذي تجرّد عن كل غرض إلا رحمة الخالق وتوفيقه[٢]:

يـا مَـنْ رضـيـتُ مُسلِّمًـا
لقضـــائهِ ورضـــيتُ حُكمَـــهْ
وعلـمـتُ أن جـمـيـع مـا
يأتـــي بـــه عـــدلٌ وحِكـــمَهْ
فَافْرُجْ بِـمَـنِّكِ عـن وليِّـ
ـكَ مسرعًا مـا قـد أَغَمَّهْ
وارحـمْ تـضـرُّعـهُ، ونَفِّـ
ـسْ كَـرْبَـهُ، عـنـه، وغَـمَّـهْ

والملاحظ أن الشاعر ختم أبياته بالهاء الساكنة، وهذه الهاء "فيها من الفخامة ما ليس في الإطلاق"[٣]، ولكأن الشاعر أراد أن يمنح هذه الأبيات شيئًا من الفخامة والوقار تناسبان لحظات المناجاة الروحانية.

ولمحمد بن عبدالله شرف الدين[٤] قَصِيْدَة توجَّه فيها إلى الباري ـ عزّ وجلّ ـ مناجيًا معلنًا توبته وندمه على ما اقترفه من ذنوب وخطايا، وعلَّل نفسه بأنَّ باب الخالق مفتوح وفضله واسع[٥]:

إلهي قد ضاقتْ عليَّ مذاهبي
وأصبحتُ لا أدري إلى أين أذهبُ
وقد ركدتْ. فيما أحاول، فكرتي
وتاهتْ، فقلبي حائرٌ يتقلَّبُ
مددتُ يدي يا واسع الجود سائلًا
إذا لَمْ تُنِلنِي ما أُنادي وأطلبُ
لئن كان ذنبي لم يدعْ لي قربةً
إذا نَابَنِي خطبٌ ، بها أتقرَّبُ
فبابُكَ مفتوحٌ، وفضلكَ واسعٌ
وجودُك فيَّاضٌ، ولُطفكَ أقربُ

وكان لافتًا أن الشاعر لجأ إلى إقامة شطري البيت الأخير على مفردات وتراكيب متعادلة وزنيًا، وهو ما يُعرف بـ (الموازنة)، وفيها يتم "تصيير أجزاء القول متناسبة الوضع، متقاسمة النظم، معتدلة الوزن، متوخّى في كل جزء منها أن يكون بزنة الآخر، دون أن يكون

---

(١) السلطان الخطَّاب بن الحسن بن أبي الحفَّاظ الحجوري (ت ٥٤٤هـ)، من أشهر الشعراء الذين عاصروا الدولة الصليحية أواخر القرن الخامس وبدايات القرن السادس الهجريان ،كان شاعرًا مجيدًا يفخر بقومه ويعتد بنفسه، وظهرت في شهره صفات القوة والجزالة وسمات الفروسية والقوة. ينظر: حسين، إسماعيل قربان (تحقيق)، السلطان الخطاب: حياته وشعره، دار المعارف، القاهرة، د.ت: ٣٤-٤٠،٦٠، الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢: ٣ / ٣٠٨

(٢) حسين، إسماعيل قربان، السلطان الخطاب: حياته وشعره: ١٥٩

(٣) المجذوب، عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، ط ٢، ١٩٨٩ م: ٨٢/١

(٤) هو: محمد بن عبدالله بن الإمام شرف الدين، من أعيان ملوك كوكبان المشهورين بالفضل. نشأ في حجر والده، وطلب العلم عن جهد وجد، وبرع في الشعر حتى عُدَّ من أوائل شعراء عصره، وصرفه شعره عن طلب الرئاسة والإمارة. توفي سنة ١٠١٠هـ. ينظر: ٢٣. المحبّي، محمد أمين الله بن فضل الله بن محب الدين بن محمد (ت١١١١هـ)، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٨م: ٢٧٤/٣-٣٠٠، المحبي، محمد بن أمين الله (ت١١١١هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د. ت: ٢٠/٤-٢٤، الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. د.ت: ١٩٤/٢-١٩٦

(٥) شرف الدين، ديوان محمد بن عبدالله بن شرف الدين: ديوان محمد بن عبدالله بن شرف الدين المسمى (الروض المرهوم والدّر المنظوم)، نسخة مصورة عن مخطوطة الهيئة العامة للآثار في الجامع الكبر بصنعاء، رقم (٢٢٦٣)، أدب (خ): ١٩/ب

مقطعاهما واحدًا"[١]، فـ(بابُكَ مفتوحٌ) تماثل في وزنها العروضي (جودُك فيَّاضٌ)، وكذلك (فضلكَ واسعٌ) و(لُطفكَ أقربُ). ويبدو أن رغبة الشاعر في خلق نهاية موسيقية لمناجاته كانت السبب الذي أنتج هذه الموازنة الصوتية.

وناجى الشُّعَرَاء مولاهم الحق[٢]، فابتهلوا إليه وسبَّحوه، وعبَّروا عن عظيم ثقتهم به، وأثنوا عليه، وتحدثوا بآلائه.. كما جاء عن عبدالله الحداد[٣] الذي قال [٤] :

يا فردُ يا حيُّ يا قيومُ يا ملكًا

يا أوَّلًا أزلي، يا آخرًا أبدي

أنت الغنيُّ عن الأمثال والشُّرَكَا

أنت المقدَّسُ عن زوجٍ وعن وَلَدِ

أنت الغياثُ لِمَن ضاعت مذاهبهُ

ومَنْ أَلَمَّ بهِ خطبٌ من النكدِ

أنت القريبُ المجيبُ المُستغاثُ بِهِ

وأنتَ يا ربُّ للراجين بالرَّصَدِ

وترددت عبارات التسبيح كثيرًا في مناجاتهم، فمن ذلك ما جاء عن أحمد الآنِسِي[٥] في الأبيات الآتية [٦]:

سبحان من أوجد الأشيا من العَدَمِ

ومنْ تفرَّدَ بالتأخير والقِدَمِ

ومَنْ تكفَّل بالأرزاقِ يَبسُطُها

بينَ الخلائقِ بالتفريقِ والقسمِ

ومن إذا قال كن للشيء كان علَى

ما شاءه، ومضَى في اللوح والقلمِ

وكذلك ما ورد عن عبدالله الحدَّاد[٧]:

---

(١) السجلماسي، أبو محمد القاسم الأنصاري (ت نحو ٧٠٤هـ): المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط١، ١٩٨٠م: ٥١٤

(٢) فرَّق عبدالحكيم حسان بين مناجاة المتعبدين ومناجاة المحبين، فمناجاة المتعبدين لا تخرج عن ترديد المعاني المناسبة لمنزلة العبد من ربه، فهو يشكره ويستغفره ويسأله العون والمعاملة بالفضل لا بالعدل.. أما المحبون= =فتغلب الرياضة الروحية في خلواتهم على العبادة، فيتخذون من الخلوة وسيلة للغناء في المحبوب والاتحاد به أو مشاهدته، على عادة الصوفية.. ينظر (حسان، عبدالحكيم: التصوف في الشعر العربي، نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م.٢٨٠) ولا شك أن الأشعار الواردة هنا أقرب ما تكون إلى النوع الأول

(٣) عبد الله بن علوي بن محمد الحداد (ت١١٣٢هـ)، فقيه شافعي وعالم في عقيدة أهل السنة والجماعة على منهج الأشاعرة من مدينة تريم بحضرموت اليمنية. سلك طريق التصوف على طريقة آبائه وأجداده، له ديوان شعر سماه (الدُّرُ المنظوم لذوي العقول والفهوم) في الحب الإلهي والزهد والتصوف. ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام:٤ / ١٠٤

(٤) الحداد، عبدالله بن علوي بن محمد: ديوان الإمام الحداد المسمى(الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم)، الناشر: عبدالقادر جيلاني سالم الخرد، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،٢٠١١م: ٢٠٦

(٥) هو: أحمد بن أحمد بن محمد الآنسي المعروف بـ: الزنمة (ت١١١٥هـ). شاعر مشهور نشأ بصنعاء، وارتحل إلى مكة، ونال شهرة بين الشعراء، توفي في جزيرة زيلع على الساحل الحبشي بعد أن نفاه المهدي محمد بن أحمد بن الحسن. ينظر: البدر الطالع: ٣٦/١-، زبارة، محمد بن محمد، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف،،مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، د.ت: ٧٤/١-٨٠

(٦) الآنِسِي، أحمد محمد، ديوان أحمد الآنِسِي المسمى (العلم المفرد من شعر السيد أحمد)، نسخة مصورة عن مخطوطة الهيئة العامة للآثار في الجامع الكبير بصنعاء، رقم (٨٥١)، مجاميع (خ): ٣/ب

(٧) ديوان الإمام الحداد: ٢٩٥

سبحان من عَنَت الوجوهُ لوجهِهِ
بتـــــذلّلٍ وتخشّـــــعٍ وتصـــــاغرِ
الواحدِ، الملكِ، الجليلِ، تقدَّستْ
أوصـــافُه عـــن قـــولِ كـــل مـــدابرِ
مِنْ مُشركٍ أو شَاكِكٍ مُتردّدٍ
فـــي الله واليـــومِ المَعـــاد الآخـــرِ

وصرَّحوا في مناجاتهم بثقتهم في الله ـ عزّ وجلّ ـ وقناعتهم به عمَّا سواه من الخلائق، فهو وحده الأحق بالنداء والأولى بالتوجه، كما في أبيات محمد بن عبدالله شرف الدين[١]:

ثقتـي أنـتَ يـا كـريـمَ الذَّاتِ
إن جَفتنِـــي أحبّتـــي وثُقـــاتِي
أنتَ ربّي وأنتَ حسبيَ يا ر ...
... ب وأنتَ المُغيثُ في الأزماتِ
من أُنادي سواكَ يا حيّ يا قيّـ
ـومُ يـا ذا السّنَاءِ والسّمحـاتِ

- **الدعاء**

تتجلى القيم الروحية بشكل واضح في الدعاء، الذي يعد من العبادات الملازمة لكل مسلم، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٢]، وقال ـ عزّ وجلّ ـ :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٣].

وأيقن بعض هؤلاء الشُّعَرَاء أن السبيل إلى النجاة من مصائب الدنيا وكربها هو الدعاء والرجوع إلى الله، وعبّر شعرهم عن ذلك اليقين. قال محمد بن عبدالله شرف الدين[٤]:

ربِّ هَبْ لي من كلّ همٍّ وغمٍّ
فـرجًـا عـاجـلًا سريـعًا قَـريبا
أنتَ ربّي وأنتَ حَسبي يا ر
... بّ، وحسـبي بـالله ربًّـا حَسـيبا
إنّ لي فيكَ حُسْنُ ظَنٍّ وأرجو
أنَّ ظنّي وحُسْنَه لن يَخِيبا

ومن أشعارهم التي تضرَّعوا فيها إلى المولى ـ عزّ وجلّ ـ أن يقيهم نار جهنم، وأن يكافئهم رضوانًا منه وجنات نعيم، قَصِيْدَة علي بن المُتَوَكِّل[٥] التي قال فيها[٦]:

ولقد دعوتكَ يا إلهي راجيًا
أن لا يَخِيـبَ لـديكَ ربّ دُعائيـهْ
فلأنْتَ رُكني في الشدائدِ كلِّها
ولأَنْـتَ فـي كلّ الأمورِ مـلاذيـهْ

(١) الديوان (خ): ٢٥/أ–ب

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦

(٤) ديوان محمد بن عبدالله بن شرف الدين (خ): ١٩/أ

(٥) هو: علي بن الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، قرأ واشتغل على عدد من الأعيان، ولازم والده أيام حكمه، وتقلد أعمال بلاد ضوران وما حولها، ثم تولى أعمال ابن عمه محمد بن الحسن بن القاسم عقب موته، ترك ديوان شعر مخطوط – توفي في مدينة تعز سنة ١٠٩٦هـ. ينظر: نَفْحَة الرَّيْحَانَة: ٢٥٧/٣–٢٦٢، خلاصة الأثر:١٤٨/٣–١٥٠

(٦) ابن المتوكل، ديوان علي بن المُتَوَكِّل، نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة وزارة الأوقاف في الجامع الكبير بصنعاء، رقم (١٩٥٢)، أدب. (خ): ٤/ب

ودعـوا الله أن ينـزل رحمتـه بهـم، وأن يعطـف علـيهم. كمـا فـي أبيـات الحسـن الهَبَـل[١] التـي تضـرّع فيهـا ودعاه بقوله[٢]:

يـا عادلًا في حُكمِهِ لا يَظلمُ
بَرَحَ الخَفَا، كم ذا نُجنُّ ونَكْتُمُ
يا سامعَ الأصوات إنْ لم تَستجِبْ
من يَسْتجِيبُ لَنَا سِواكَ ويرحمُ
يا من مقاليدُ الأمورِ بكفِّهِ
عطفًا، فأنتَ بِحَالِ عبدكَ أعلمُ

وكان الدعاء ملاذ الشُّعَرَاء كُلَّمَا فتكت بهم الأمراض وانتشرت بينهم الأوبئة. فقد أنشأ محمد بن عبدالله شرف الدين قَصِيْدَة مطولة، بلغت ثلاثمئة واثنين وعشرين بيتًا، دعا الله ـ عزّ وجلّ ـ ورجاه أن يَقِيَهُ وأهله من مرض الطاعون الذي فتك بالعشرات. وصرح فيها بطلبه، فقال[٣]:

وعافِ أبي وابني ونفسي وأخـوتـي
وأهلي، وأحسِنْ ربّ أعمالنا الخَتْمَا
وصُنَّا من الطاعون والوخزِ، واحسم الـ
بَلا يالطيف الصُّنْعِ مِنْ سَاحتي حَسْمَا
وكل ملِّمٍ بـاتَ قـلـبـي لـخـوفِـه
كضيمًا لِغَمٍّ لَسْتُ أقوَى لـه كَضْمَا
ومـن سَيِّء الآلامِ والسّقمِ كلِّه
أجرني فضلًا، واحمْ جِسمي من الحمَى

أما أحمد الآنسي فقد توجه إلى المولى ـ عزّ وجلّ ـ وسأله أن يوسّع عليه رزقه، وأن يكشف عنه ضائقته [٤] موظّفًا التأثيرات الصوتية والدلالية للجناس في قوله:

يـا كاشِفَ اللّأواءِ والبَلواءِ
ومبدِّلَ الضَّرَّاءَ بالسَّرَّاءِ[٥]
أدعوكَ للخطبِ الذي قد سَامَنِي
نقصًا، وأرجو أن تُجيب دعائِي
مِن بَعْدِ إقراري بأني مُذنبٌ
مستغفرٌ لك من جميع خطائِي

مولاي: لا أرجو سواكَ لدفعِ ما
أخشاهُ من كَدٍّ ومن أكداءِ
فلأنتَ تعلمُ، يا عليمُ، بكلِّ ما
أضمرتُه مِن غَيرِ رَفْعِ نِدَاءِ

فالشاعر وظّف جناس التصدير في هذه الأبيات؛ لمنحها أبعادًا موسيقية ودلالية، وهو ما ظهر في المجانسة بين (اللّأواءِ) و(البَلواءِ)، فالأولى تدل على (ضيقُ المعيشة)، والأخرى تدل على (الامتحان والابتلاء)، ولعل

(١) هو: الحسن بن علي بن جابر الهبل، شاعر مكثر مجيد، اتصل بالإمام المهدي أحمد بن الحسن، وكان له كالوزير قبل رئاسته، ينسب إلى قرية بني الهبل، وهي هجرة من هجر خولان. عدّه كثير من العلماء والأدباء من أشهر شعراء اليمن بعد الألف. ولكن المنية لم تمهله، فتوفي سنة ١٠٧٩هـ ولما يتجاوز الواحدة والثلاثين من عمره. ينظر: نَفْحَة الرَّيْحَانَة: ٥٥٣/٣-٥٦٢- خلاصة الأثر: ٣٠/٢-٣٤، البدر الطالع: ١٩٩/١-٢٠٠

(٢) الهَبَل، الحسن بن علي بن جابر، ديوان الهَبَل، حقّقه أحمد بن محمد الشامي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط١، ١٩٨٣م: ٨٠

(٣) ديوان محمد بن عبدالله بن شرف الدين (خ): ٧٧/ب

(٤) ديوان أحمد الآنِسي (خ): ٨/أ

(٥) اللأواء: الشدة. (مختار الصحاح: ٥١٧).

الشاعر أراد أن يمهّد لدعائه بالتأكيد على قدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على كشف كل سوء مهما كان. كما أن الدلالة الموسيقية تظهر بوضوح في تمهيد الأصوات المتخلقة من هذا الجناس لصوت القافية في كلمة (السّرّاءِ)، التي تجانست هي الأخرى مع كلمة (الضّرّاء) أيضًا.

ولعلي بن أبي الرّجَال [١] قَصِيْدَة طريفة، دعا الله فيها ورجاه أن يوسع عليه رزقه، وإذا لم يكن ذلك، فإن الموت هو البديل الآخر الذي يتمناه[٢]:

أيَا عالمًا بالسِّرّ والجهرِ إنني
أطلتُ الدُّعا، والدَّهرُ بالناس قُلَّبُ
وحبُّكَ في قلبي مدَى الدَّهرِ ثابتٌ
وعلمُكَ أدنَى مِنْ وَتيني وأقربُ[٣]
وجودكَ عند الظَّنّ من كل مؤمنٍ
وحاشاكَ أنَّ الظَّنَّ فيكَ يُخَيّبُ
فإن لم تَجُدْ لي بالأماني ولم تُجِبْ
دعائي؛ فَجُدْ بالموتِ فالموتُ أطيبُ

ومن أشعارهم التي تضرَّعوا فيها إلى المولى ـ عزّ وجلّ ـ أن يقيهم نار جهنم، وأن يكافئهم رضوانًا منه وجنات نعيم، قَصِيْدَة علي بن المُتَوَكِّل، التي قال فيها[٤]:

يا مَنْ عليه توكّلي ورجائِيَهْ
وإليهِ في يومِ الثَّناء معاديهْ
يا مَنْ غذائي في معادِي فضلِه
وأنالني فيما رجوتُ مراديهْ
إني، بحقِّ المُصطفى، أرجوك أنْ
تُعطي عبيدكَ في الحياة أمانيهْ
وتُنيلَه يومَ القيامةِ رحمةً
ينجو بها من حَرِّ نارٍ حاميهْ
ويفوزُ بالرّضوانِ مِنكَ تفضُّلًا
ويكونُ في غُرفِ الجنانِ العاليهْ
ولقد دعوتكَ يا إلهي راجيًا
ألَّا يَخِيبَ لديكَ ربّ دُعائيهْ
فلأنْتَ رُكني في الشدائدِ كلِّها
ولأَنْتَ في كلّ الأمورِ ملاذيهْ

- **الاستغفار**

أدرك كثير من شُعَرَاء اليمن في العصور المتأخرة جناية تقصيرهم وتهاونهم وسعيهم وراء ملذاتهم، وما نتج عن ذلك من تقصير وتفريط في جنب الله. فجاءت بعض قصائدهم محمَّلة بلذعة ندم على التهاون والانسياق مع شَرَه الشباب وغوايته. ولعبدالله الحداد قَصِيْدَة صرح في مستهلها ببكائه وندمه على ما فات[٥]:

تفيضُ عُيوني بالدِّمُوعِ السَّواكِبِ
ومَاليَ لا أَبكي على خَيرِ ذَاهبِ
على العُمر إذ وَلَّى، وَحَانَ انقضَاؤُهُ
بآمالِ مغرورٍ وأعمالِ نَاكِبِ
عَلَى غُررِ الأَيَّامِ لَمَّا تَصَرَّمَتْ

---

(١) هو علي بن صالح بن محمد بن علي بن أبي الرجال القرشي العمري اليمني الصنعاني. كان أديباً وشاعراً مجيداً. وله مقاطيع حسنه وقصائد مستجادة. وكثيراً ما كان يسلك طريقة المجون والهزل والسخرية، وعمّر طويلاً وتوفي سنة ١١٣٥ هـ. ينظر: البدر الطالع: ٤٥٦-نشر العرف: ٢١٧/٢-٢٢٥

(٢) ابن أبي الرّجَال علي بن صالح، ديوان علي بن صالح بن أبي الرّجَال، نسخة مصورة عن مخطوطة القاضي أحمد بن أبي الرّجَال (خ): ٢٣٤

(٣) الوتين؛ عرق في القلب، إذا انقطع مات صاحبه. (مختار الصحاح: ٦٢٤)

(٤) ديوان علي بن المُتَوَكِّل (خ): ٤/ب

(٥) ديوان الإمام الحداد: ٢٣-٢٤

فأصبحتُ مِنها رهنَ شُؤمِ المَكَاسِبِ
عَلَى زَهرات العَيشِ لمَّا تساقطتْ
بـريحِ الأَمـانِي والظُّنُـونِ الكَـوَاذِبِ
عَلَى أشرفِ الأوقاتِ لمَّا غُبِنْتُهَا
بأسـواقِ غَـبْنٍ بـينَ لاهٍ ولاعِـبِ
عَلَى أَنْفسِ السَّاعاتِ لمَّا أَضعتُهَا
وقَضيّتُها في غفلةٍ ومعاطِبِ
عَلَى صَرفِيَ الأنفاس في غَيرِ طَائلٍ
ولا نـافعٍ مِـنْ فضـلِ علـمٍ وَوَاجِـبِ
عَلَى ما تولَّى مِن زمانٍ قضيتُهُ
وزَجَّيتُه في غيرِ حقٍّ وصَائِبِ[1]

وبدا في الأبيات السابقة توظيف الشاعر لـ(التطريز) وفقًا لمفهوم أبي هلال العسكري في كتابه (الصناعتين: الكتابة والشعر)، الذي عرّفه بقوله: "أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن، فيكون فيها كالطّراز في الثوب"[2]، فتكرار حرف الجر (على) واستهلال الأبيات به على النحو الآتي: (على العُمر إذ وَلَّى، عَلَى غُررِ الأَيَّامِ، عَلَى زَهرات العَيشِ، عَلَى أشرفِ الأوقاتِ، عَلَى أَنْفسِ السَّاعاتِ، عَلَى صَرفِيَ الأنفاس، عَلَى ما تولَّى ...)، فهذا التطريز خدم المعنى بشكل كبير من خلال الربط بين هذه الأبيات التي تكرر فيها حرف الجر وما تلاه من جمل، وبين ندم الشاعر ورغبته في الاستغفار (تفيضُ عُيوني بالدِّمُوعِ السَّواكِبِ).

وسارع بعض الشُّعَرَاء إلى إظهار جزعه وخوفه من الوقوف بين يدي الله ـ سبحانه وتعالى ـ وانتظار الجزاء والحساب. وتمنّى بعضهم لو أنه لم يخلق أصلًا لئلا يقف ذلك الموقف الرهيب، وذلك ما عبَّر عنه الحسن الهَبَل بقوله[3]:

وا سوء حالي في غدٍ
لقبيحِ ما قد كان مِنّي
وفضيحتي يوم الجزا
إنْ لم تَجُدْ بالعفو عَنّي
كيف التَّخلُّص مِنْ عذا...
بك، ليتَ أُمِّي لم تلدني
أو ليتَ أنّي لم أَعِشْ
لو كان يُجدي: ليتَ أنّي

وأنشأ محمد بن حِمْيَر[4] أبياتًا في الدعاء، وظّف فيها ثقافته الدينية والتاريخية في الإشارة إلى لطف الله تعالى بأنبيائه عند الشدائد، مثل: طوفان نوح وقصة موسى ويونس وإبراهيم وداؤود عليهم السلام [5]:

---

(1) زجَّى الشيء تزجيةً، دفعه برفق. يقال كيف تُزجي الأيام، أي كيف تدافعها (مختار الصحاح: ٢٣٦).

(2) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت نحو ٣٩٥ هـ): الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت،١٤١٩هـ: ٤٢٥

(3) ديوان الهَبَل: ٧٩

(4) أبو عبدالله جمال الدين محمد بن حمير بن عمر الوصابي الهمداني (ت٦٥١هـ)، شاعر اليمن في عصره . لزم لملك اليمن في عصره المظفّر الرسولي، وأصبح شاعره المقرّب، وله فيه الكثير من قصائد المديح، كان ينعت بأنه شاعر الدولة الرسولية. توفي في مدينة زبيد، وترك ديوان شعر. ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام: ١١١/٦، خواجي، مجدي بن محمد: محمد بن حمير الهمداني شاعر الدولة الرسولية في القرن السابع الهجري حياته وشعره.. دراسة موضوعية، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط١،٢٠٠١م: ٢٣

(5) ديوان أبي عبدالله جمال الدين محمد بن حِمْيَر الوصابي الهمداني، حققه وعلق عليه محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار العودة، بيروت، ط١،١٩٨٥م: ٢٢٥-٢٢٦

يـا ربَّ إن تَكُ لِـيْ ذُنوبكَ اغتفِرْ
وأَقِلْ، فمثلكَ مَنْ أقال ومن عَثَرْ
يـا ربّ لا أقـوَى علـى كلّ الذي
ألْقَى ولطفُكَ خيرُ لُطفٍ يُنْتَظَرْ
قد قلتُ: إنَّ العُسْرَ يتبعُ ضيقَهُ
يُسْرٌ، فما بالي أُسَاءُ ولا أُسَرْ
لم يبقَ من جسمي سِوى شَبَحٍ يُرَى
كالوَهْمِ لا يَسْطِيعُ يَحصرُه النَّظرْ
وحُشاشةٍ فتِيتْ ومنـها فضْلـةٌ
بَقِيَتْ مُقُلَّبةً على شَوكِ الإبَرْ
أوَلَسْتَ قد أنجيتَ من طُوفانِه
نوحًا وقد لاقى ابنُه إحدى الكُبُرْ
وحَفظتَ موسَى يومَ أُلْقِيَ مُرضِعًا
في اليَمِّ طِفلًا لا مِلاذَ ولا وَزَرْ
وكفَيتَ يونس ظُلْمَةَ الحوتِ التي
في بطنهِ لذَوِي الشَّدائِدِ مُعْتبَرْ
ووقيْتَ إبراهيمَ والنَّمرودُ قـد
سَعَرَ الحريقَ فكان بَرْدًا ما سَعَرْ
ووهبتَ داوودًا خطِيئته التي
تركتْ مدَامعَه سواكبَ كالمَطَرْ
وقصرتَ عن حواء طولَ حبيبِها
وأقلْتَ آدم في العثارِ وقد عَثَرْ
نَفِّسْ علـيَّ فأنت أرحمُ راحمٍ
وانظر إليَّ فلا أقَلّ مِنَ النَّظَرْ

وعلى الرغم من كثرة الأسماء التاريخية لتي استدعاها الشاعر في أبياته السابقة فإنها لم تشكل إضافات دلالية ذات بال، ولكن القوة الإيحائية التي حملتها تلك المعطيات هي التي منحت ومضات غنية بالدلالات، على الرغم من ضيق مساحاتها داخل القصيدة.

كما قرن الشُّعَرَاء أدعيتهم وطلباتهم المباشرة منه بالتوسل إليه، والاستشفاع بمن يحب، وبما يحب، تأكيدًا لمزيد الاعتراف بالضعف والتقصير، ورهبة من جلال الألوهية، وخشية ألا يكون المتضرع بالدعاء مقبولًا، فتوسَّلوا بأسماء الله الحسنى، وبسور القرآن العظيم، وبرسوله الكريم (ﷺ)، وبأنبياء الله، وما وقع لهم من محن وأهوال.

ولمحمد بن عبدالله شرف الدين قَصِيْدَة ناهزت المئة والواحد والأربعين بيتًا، توسل فيها بأسماء الله الحسنى جميعها، وضمنَّها أبياته. وقال في مطلعها[1]:

بِمَنْ يستغيثُ العبدُ إلَّا بِمَولاهُ
ويَهتفُ في اللَّأواءِ إلَّا بِأسماهُ
فَيَا مَنْ هُوَ الله الذي لا إله مِنْ
لَـدُنْ عَرشِـهِ بالـحَـقِّ يُـعْـبَـدُ إلَّاهُ
مِنَ العَرشِ حتَّى مُنتهَى العَرشِ مَالَهُ
شريكٌ، تَعالَى وَجْهُ رَبِّي وَحَاشَاهُ

حتى إذا اكتملت وسيلته، بعد أن شرفَّها بالأسماء الحسنى، ختمها بقوله:

أَجِبْ وَتَقَبَّلْ، عَافِ، واغْفِرْ، أَقِلْ، أَنِلْ
قُصَارَى المُنَى داعِيكَ، وامسحْ خَطَايَاهُ
ولا غـرو أن نِلْتُ المُنَى ؛ فَوَسِيلَتِي
لِـمـا نَـابَـنـي: اللهُ اللهُ اللهُ

(١) ديوان محمد بن عبدالله بن شرف الدين (خ): ١٠١/ب-١٠٢/أ

- **التوسل**

الاستعداد للزهد والانصراف إليه ينشأ من ثورة باطنية تخامر النفوس، يبدأ صاحبها بجهاد نفسه، وكبح جماح شهواتها، حتى إذا تمكن له ذلك؛ التفت إلى ما جناه من ذنوب، وما اقترفه من خطايا، فلجأ إلى خالقه، يدعوه ويتضرع إليه ويستغفره، ويكرر توسله، كما فعل محمد بن عبدويه[١] عندما توسل إلى بارئه، وقال[٢]:

يَا رَحِيم العِباد طـرًّا أَغِثْنِي
وَأَجِرنِي، فإنَّنِي قَدْ هَلَكْتُ
يا رحيمَ العبادِ: كُـنْ لي مجيبًا
لا تُخفني، وقل: غفرتُ غفرتُ
يا رحيمَ العبادِ: فارحمْ خُضُوعِي
وندائي، وقل: عَفُوتُ عَفُوتُ

ومن الشعراء من توسل بسور القرآن العظيم، كما هو الحال عند أبي بكر اليافعي [٣] الذي أفاد من ثقافته الدينية، وتوسل إلى ربه بسور القران العظيم التي جمعها في قصيدة، جاء فيها[٤]:

وَهَبْ لي ذنوبي، واعفُ عن قُبحِ زَلَّتِي
ولا تكشفنْ حالي، ولا تهتكنْ ستري
بعروتكَ الوُثقَى، وأسمائِكَ التي
تعلّمها موسى الكليمُ مِنَ الخضرِ
بفاتحةِ القرآنِ والسُّورةِ التي
تليها، وما فيها من النَّهي والأمرِ
بآيةِ كرسيٍّ وعزّة قدرِها
ومعظمِ ما أنزلتَ في مُحكمِ الذِّكرِ
وما قلته في آل عمران والنسا
وتنزيهِ عيسى من مقالِ ذَوِي الكُفرِ

أما أحمد بن سليمان، فإنه توسل إلى ربه، وطلب منه أن يرزقه اليقين والتقوى، وأن يوسّع معارفه، وأن يرزقه الشهادة، ويكفّر ذنوبه، وصاغ ذلك في أبيات، قال فيها[٥]:

فيا ربِّ ارزقني اليَّقينَ، فإنه
–وتقواك– رأسُ الدينِ، فاجعله عدَّتي
وزدني علمًا نافعًا، وتوفّنِي
شهيدًا، ولا تدحض بذلك حُجَّتِي
وكفِّرْ ذُنوبي ربّ، واغفر خطيئتي
وإنْ عظمتْ يومًا بذلك وَجَلَّتِ

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عَبْدَوَيْه النهرواني (ت٥٢٥هـ)، من أبناء التجار المسافرين في البحار، انتقل إلى اليمن وسكن مدينة عدن ثم انتقل إلى زبيد، وتركها إلى جزيرة كمران وبها توفي، كان ينفق على طلبة العلم ويكرمهم. وله قصائد ومقطوعات شعر وتصنيف في أصول الفقه، سماه (الإرشاد). ينظر: الجعدي، عمر ابن علي بن سمرة "ت ٥٨٧ هـ"، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة،١٩٥٧ م: ١٤٤– ١٤٧

(٢) طبقات فقهاء اليمن: ١٤٦

(٣) أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم اليافعي (ت ٥٥٢هـ)، من أعلام الشافعية في عصره، وله شعر حسن رائق يحتوي على جد القول وهزله والرقيق الجزل، ولي القضاء في الجند أيام المفضل ثم صار قاضي القضاة من الجند إلى صنعاء، توفي في مدينة الجَنَد. ينظر: طبقات فقهاء اليمن:١٦٤– ١٦٧، اليمني، عمارة: تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق: محمد علي الأكوع الحوالي، مطبعة السعادة، القاهرة،١٩٧٦م: ٢٩٤–٢٩٧

(٤) الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف "ت ما بين ٧٣٠ – ٧٣٢هـ"، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد صنعاء،ج١، ط٢،١٩٩٥ م: ٣١٢/١

(٥) جغمان، إسماعيل بن أحمد "ت في القرن ١٤هـ"سيرة أهل البيت، مخطوطة في مكتبة الهيئة العامة للآثار في الجامع الكبير في صنعاء، رقم (٣٦) مجموع: ٣٩/أ

وتوسل محمد بن عبدالله شرف الدين بسورة الإخلاص، بعد أن استضاف آياتها في نسيجه الشعري في تناص واضح مع السورة الكريمة، فقال[١]:

(قل)، إن ألمَّتْ أزمةٌ بك : يا (هُوْ)
فـــالله مـــن يهتـــف بـــه لبَّـــاه
قل: يا مجيبَ السَّائلينَ، فلم يَخِبْ
(أحـــد) إذا مـــا قـــال: يـــا (الله)
واصمد إلى (الصمد) الجواد، فليس لا
ـــملهوف فـــي كشـــف المخـــوف ســـواه
فردٌ عظيمٌ (لَمْ يَلِدْ) أحدًا (ولَمْ
يُولَـــدْ)، تبـــارك مـــا أجـــلَّ ثنـــاهُ
(و) تْرٌ قديمٌ (لم يكن) أَحَدٌ (لَهُ)
(كفوًا) يُدانِى مَجدَهُ، حَاشَاهُ
وهـو المحيطُ بكلِّ معلومٍ، وَمَا
أحـــــدٌ يُحـــــيطُ بِعلمِـــــهِ إلَّاهُ

ورأى كثير من الشُّعَرَاء في شخصية الرسول الأعظم (ﷺ) خير وسيلة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فهو خاتم الرسل وأفضلهم، وهو شفيع الخلق لدى خالقه. وقد توسل به محمد بن عبدالله بن شرف الدين بعد أن أعيته الذنوب والهفوات، ولم يجد إلا خير الخلق وسيلة يتقرب بها إلى مولاه الحق[٢]:

ربِّ مالي وسيلةٌ أرتجي أنْ ...
نَ سنـاهَـا يُـنـيـلُـنِـي طـلـبـاتِـي
ليسَ لي قُربةٌ أُقدِّمها بيـ
ـــن يَـــدَي دَعـــوتي مـــن الحســـناتِ
أنا مَنْ قد عرفتَ مُقترِف الذَّنْـ
ـــبِ، عـظـيمُ الـذُّنـوبِ والـهَـفَـوَاتِ
غير أنِّي، بِجَاهِ أحمدَ، أدعُو ...
... كَ، وجيـهِ الـدارين ذي المُعجـزاتِ
صاحبِ السَّجدةِ العظيمةِ في المو...
... قفِ، يـوم الـغـمومِ والـحَسَرَاتِ
صاحب الحوض واللواء، لواء الـ
ـحمدِ، غـوثِ اللهيـفِ، غـوثِ العُفَـاتِ
صاحب القرب والوسيلة، من جا ...
... وَزَ حجـبَ الأنـوارِ والظُّلُمَـاتِ
الشفيعُ المُشفَّع، الطيِّبُ، الطَّا ...
... هـرُ، ربُّ البيـانِ والبيِّنَـاتِ

وعلى المنوال نفسه سار علي بن المُتَوَكِّل، فتوسل به، لكنه لم يستطرد في تعداد صفاته كما فعل ابن شرف الدين، بل اكتفى بالقول: إنه يتوسل بخير الرسل صاحب معجزة الإسراء والمعراج[٣]:

وبحقِّ طَهَ خيرةِ الرُّسلِ الذي
قد نالَ في المِعراجِ خيرَ مَنالِ
وخصصتَه بالقُرْبِ في إسرَائِهِ
وحَبَوتَه بسوابغِ الأفضالِ
أن تستجيبَ لي الدُّعَا وتُعيذُنِي
مِـنْ كُـلِّ شَـرِّ آجِـلٍ، أَوْ حَـالِ

(١) ديوان محمد بن عبدالله بن شرف الدين: ١٠٥/ب
(٢) نفسه: ٢٥/ب
(٣) ديوان علي بن المُتَوَكِّل (خ): ١٤/ب-١٥/أ

وثمة شعراء آخرون خاطبوا الرسول الكريم (ﷺ) خطابًا مباشرًا ووجهوا توسلاتهم إليه[١]، فيما يشبه الخروج عن مألوف الشعراء ، فعبدالرحيم البرعي[٢] أنشأ أبياتًا توسل فيها إلى الرسول الكريم (ﷺ)[٣]:

يـا سيدى يـا رسولَ الله يـا أَمَلِى
يا موئلي يا ملاذِي يومَ يَلقاني
هَبْنِى بِجَاهِكَ ما قدَّمتُ مِن زَلَلٍ
جودًا ورَجِّحْ بِفَضْلٍ مِنْكَ ميزاني
واسمعْ دعائي واكشفْ ما يُساورني
من الخطوبِ ونَفِّسْ كلّ أحزاني
وامنع حمايَ وأكرمني وصِلْ نَسبِى
بـرحمـةٍ وكـرامـاتٍ وغُفرانِ
فأنتَ أَقرَبُ مَنْ تُرجى عـواطِفُهُ
عِندي وإنْ بَعُدَتْ دَاري وَأَوطَانِي

ولم يبعد محمد بن حِمْيَر في أبياته الآتية عن أسلوب البرعي في التوسل إلى الرسول الكريم (ﷺ)[٤]:

هل يـا رسـولَ الله نـظره مُشفقٍ
أفـديـكَ بـالأمِّ الـشفـيـقـةِ والأبِ
أَدْرِكْ أسيـرًا مـا سِـواكَ تُغيـثُهُ
فلطالما فـرّجـتَ كُربـةَ مُكْرَبِ
واشفعْ فوجهُكَ لا يُـرَدُّ ولم يَزلْ
يُعفَى بوجهِكَ كل زَلّـةِ مُذنِبِ
لاَ تـهْجَعَنّ ،وقد سهرتُ ،فرُبَّما
سَهَر الكريمُ لدى الجوار الأنجبِ
لا تُهمِلنَّ مَحبتِي ومَدائِحي
وتوسُّلِي وتنصّلي وتـغـرُّبِي

- **شكر الله وتعداد نعمه وآلائه**

من خصائص المسلم وسماته، في كل عصر وزمان، أن يشكر الله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأن يعدد آلاءه وشواهد فضله، وتفضله على خلقه.

ومن خصائص هذا الشكر والثناء أن تسجد الخلائق لله طوعًا وكرهًا بعد أن ملأت دلائل عظمته وألوهيته الوجود. وهذا المعنى تجلّى في قول عبدالله الحداد[٥]:

كلُّ الخلائقِ، ساجِدونَ لوجهِهِ
طوعًا وكرهًا بالأصيلِ وباكرِ
ملأتْ بدائِعُه الوجودَ وأشرقتْ
أنـوارُه بظواهـرٍ وسرائـرِ

وهذا الشكر والثناء كان مستهلًّا لكثير من القصائد التي كان الشعراء يحرصون فيها على إضفاء ما يشبه الهالة الدينية عليها، ولذلك كان بعضهم يحرص على افتتاح قصيدته بمثل هذا الحمد والثناء، ويختمها بالصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد (ﷺ) كما هو الحال في قصيدة البرعي التي استهلها بشكر الله بمثل قوله [٦]:

لَك الحَمد حمدًا نستلِذُّ بـه ذِكْـرَا

---

(١) لمزيد من التوسع في معاني التوسل وأقسامه، ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣

(٢) عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي (ت ٨٠٣هـ)، شاعر يمني متصوف شاعر، متصوف من سكان، أفتى ودرس وله، لُقّب بـ(البُرَعِي) نسبة إلى جبل (بُرَع) في محافظة الحديدة، له ديوان شعر أكثره في المدائح النبويّة. ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام:٣ / ٤٣

(٣) البرعي، عبد الرحيم بن أحمد، ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، القاهرة، د ت، ص٣٨ –٣٩

(٤) ديوان محمد بن حمير: ٢٢٤

(٥) ديوان الإمام الحداد: ٢٥١

(٦) ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية: ٦

وإنْ كنتُ لا أُحصِي ثناءً ولا شُكرَا
لَك الحَمد حَمدًا طَيّبًا يَملأ السَّمَا
وَأَقطارها والأَرض والبر والبَحرَا
لَك الحمد تَعظيمًا لوجهكَ قائمًا
بِحَقِّكَ في السَّراءِ مِنّي وفي الضَّرَا
لَك الحمد مقرونًا بشكركَ دائمًا
لَك الحمد في الأولَى لك الحمد في الأُخرَى
لَك الحَمد حمدًا طيّبًا أَنتَ أَهلُهُ
عَلى كلِّ حالٍ يشمل السِّرَّ والجَهرَا
لَك الحمد يا ذا الكِبرياءِ ومَنْ يَكُنْ
بحمدكَ ذا شكرٍ، فقد أحرزَ الشُّكرَا
لَك الحمد ما أَولاك بالحمد وَالثنَّا
عَلى نِعَمٍ أُثبِعْتُها نِعَمًا تترَى

والشاعر في هذه الآيات وظّف (التطريز) [١] بتكرر (لَك الحمد) مستهل كل بيت.

وها هو الحسن الهَبَل يتخذ من تعداد أنعم الله عليه، وتقويم خلقته أسلوبًا لشكره والثناء [٢]:

كم نعمةٍ لكَ عندي لا أطيقُ لها
شكرًا، ولو أنني استغرقتُ ساعاتِي
ومعضلٍ فادحٍ قد كاد يُغرقني
في بحر هُلْكٍ، فكانت منكَ منجاتِي
أحسنتَ يا ربّ تقويمي بتسويةٍ
مكمّلًا أدوات لي وآلاتِ
حفظتني ربّ، إذ لا خلقَ يحفظني
برًّا، وقدَّرتَ أقواتي وأوقاتِي
ولم تزلْ عَيْنُ بِرٍّ مِنْكَ تلحظني
فما خَلَتْ مَنْ صنيعٍ مِنْكِ حِالاتي

وإذا كان تعداد أنعم الخالق ـ عزّ وجلّ ـ والتحدث بآلائه قد اقترن بالشكر له والثناء عليه، ووصفه بعبارات التعظيم والتقديس والإجلال، فإن ذلك كله لن يفيه ما يستحقه من الحمد والشكر، ولو بلغ الإنسان أضعاف عمره، بل لو خُلِّد أمد الدهر، لما وفَّى خالقه حقَّه، وفي هذا المعنى قال عبدالله الحداد[٣]:

فلستُ بِشُكْرِ الله ربي وخالقي
أقومُ على إحسانِه المُتَواترِ
ولكنني بالعَجْزِ عن حَقِّ شُكرِهِ
مُقِرٌّ، ولو شمَّرتُ في سَعْي شَاكرِ
ولو كان لي عُمرُ الدُّنَا وقطعتُه
بأفضل شُكرِ الشَّاكرين الأكابرِ
وأضعافَ أضعافَ الجميعِ مُضاعفًا
بلا أمدٍ يأتي عليه وآخرِ
لَمَا قمتُ بالشِّكر الذي هو أهلُهُ
وكنتُ مع التَّقصيرِ في وَصْفِ قَاصرِ

المبحث الثاني: القيم الإرشادية (المواعظ)

انطلاقًا من روح التديّن والزهد ومشاعر الانتماء المجتمعي، فقد حرص بعض الشعراء في هذه العصور على توظيف شعر القيم الإرشادية (المواعظ) في معالجة كثير من جوانب حياة المجتمع، وكانوا أكثر إلحاحًا على مواضيع بعينها، كالنصح بالتوجه إلى الله ـ سبحانه

(١) ديوان ينظر الصفحات ١٣،١٤ من هذه الدراسة

(٢) ديوان الحسن الهَبَل: ٣٢٨

(٣) ديوان الإمام الحداد: ٣٢٨-٣٢٩

وتعالى ـ وإخلاص العبادة له وحدة، والدعوة إلى التّمسّك بحسن الخلق، والابتعاد عن الذنوب، وتزهيد الناس في الحياة الدنيا ومطالبتهم بالإعداد للآخرة، والحديث عن الشيب، ودنوِّ الأجل.

- **التّوجّه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والتمسّك به**

وظّف الشعراء بعضًا من شعرهم للحث على التّوجّه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والتمسك به ؛ طمأنةً للنفس وترويضًا لها، بعد أن لاحظوا إقبال الناس على الحياة الدنيا، وجزعهم عند نزول الخطوب والمحن، وعدم رجوعهم إلى الخالق –جل وعلا–، وهذا ما تحدثت عنه أبيات الحسن الجرموزي[١] التي قال فيها [٢]:

بِـاللَّه لا بـِسِـوَاهُ
مِـن الأنـــامِ تَـمـسَّـكْ
فـافزَعْ إلـيـهِ إذا مَـا
خطْبُ الـحوادِثِ مَسَّكْ
فـإنْ وَثِقتَ بـخَـلقٍ
سواهُ، ضَـيّـعْتَ نَفْسَكْ

وحثّ الحسين المتوكل[٣] على التّوجّه إلى الله والتّمسّك به [٤]:

هُو الله فاعْنُو له مخلصًا
فبَالفوَزِ يَظفرُ مَن أخلصَا
ولُذْ بالجَنابِ الذي يَلتَجِي
إليهِ، ويَهرُبُ مَن قد عَصَا
فمَا أنتَ والخوفُ مِمَّن دَنَا
مِن الخلقِ قاطبةً أو قصَا
فمهما وَثِقْتَ بهِ لنْ تَجدْ
إليكَ الخطوبُ – إذًا – مخلصَا

وأكد زيد بن علي جحاف[٥] أن الإنسان ينبغي أن يعضد تمسكه بخالقه بحمده وشكره، والتّخلّق الدائم بصفة الصبر، ولذلك يجب أن يمتاز المرء بهما [٦]:

ولَمْ أرَ مثلَ الشُّكرِ جنَّةَ غَارسٍ

(١) هو: الحسن بن مطهر بن محمد بن أحمد بن عبدالله الجرموزي (ت ١١٠٠هـ). ولد ببلدة عُتُمه، برع في علوم العربية والفقه والحديث والتفسير، وله بعض المؤلفات والأشعار. اتصل بالإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، وولي حراز، ثم المخا، ومدحه جماعة من الشعراء وتوفي بصنعاء. ينظر: نَفْحَة الرَّيْحَانَة: ٣/٣٩٠-٣٩٦، البدر الطالع: ١/٢١٠-٢١١، نشر العرف: ١/٥٠٥-٥٠٩

(٢) المحبّي، محمد أمين الله بن فضل الله بن محب الدين بن محمد (ت١١١١هـ)، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٨م: ٣/٣٩٤

(٣) هو الحسين بن الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم بن محمد. كان سيدًا كريمًا جوادًا سخيًّا شجاعًا كثير الصدقات والشفقة على الضعفاء والأرحام. ولاّه والده شهارة وبلادها، ثم ولاّه أعمال إب، وجعل بنظره مدينة ضوران وبلاد آنس. وعاضد أخاه المؤيد أيام حكمه، ثم هاجر إلى مكة بعد قيام الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن، وعاد إلى اليمن بعد أن استوثق منه، وأقام في شهارة، وتوفي بها سنة ١١١٢هـ، وقيل: ١١١٥هـ. ينظر: نشر العرف: ١/٥٤٠-٥٤٢

(٤) ابن المتوكل، ديوان الحسين بن المُتَوَكِّل، ملحق بديوان يحيى جحاف، نسخة مصورة عن مخطوطة الهيئة العامة للآثار في الجامع الكبير بصنعاء، رقم (٢٣٢٥)، أدب. (خ): ٥٦/ب

(٥) زيد بن على بن إبْرَاهِيم جحاف (ت١١٠٨هـ)، وزر للْإِمَام المتَوَكل على الله إسْمَاعِيل وَكَانَت لَهُ لَدَيْهِ الْمنزلَة الرفيعة والمرتبة الْعَالِيَة المنيعة، ولبلغاء وأدباء عصره فِيهِ مدائح عدَّة.
توفي في الروضة إحدى ضواحي مدينة صنعاء.
ينظر: زبارة، محمد بن محمد، ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت: ٩٤

(٦) نشر العرف: ١/٦٦٠

ولا مثل حُسنِ الصبر جنة فارس
فخُذْ بهما، تَظفرْ بكلِّ غَنيمةٍ
تمضّ بوجهٍ في الملا غيرِ عابِسِ

وهو يستلهم في هذين البيتين مطلع بيت الشاعر العباسي أبي الفتح البستي ويتناص معه عبر استضافة الشطر الأول من قصيدة أبي الفتح البستي [١]:

ولم أر مِثلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ غارِسٍ
ولم أرَ مِثلَ الصَّبْرِ جُنَّةَ لابِسِ

- **الصبر والإيمان بالقدر**

كان اعتراف الشعراء بالذنوب والخطايا إيمانًا منهم بالقضاء والقدر. ولم يأت إيمانهم بالقضاء والقدر إلا بعد أن امتلأت نفوسهم ايمانًا وتقوى، فلم يعترضوا على حكم الله، بل صبروا وحمدوا الله، كما رُوي عن محمد بن عبدويه، الذي أصيب في عينيه بداءٍ حَرَمَهُ النظر، فجيء بأحد الأطباء ليعالجه، لكنه أعرض عنه، وقال مصوّرًا صبره وإيمانه بالقدر [٢]:

وقالوا: قَدْ دَهَى عينِيكَ سُوءٌ
فلَو عَالجتَهُ بالقدحِ زَالا
فقلتُ: الرَّبُّ مُختبِرِي بِهَذَا
فإنْ أصبِر، أنَلْ مِنه الجَلالا
وإنْ أَجزَعْ، حُرِمتُ الأجرَ مِنْهُ
وكانَ خصيصتي مِنه الوَبَالا
وإنّي صَابرٌ راضٍ شكورٌ
ولستُ مغيّرًا مَا قد أنالَا

ووظف عبدالله الحداد التناص القرآني في سياق تأكيده أن الفرج دائمًا هو العاقبة المثلى للصبر، وما على الإنسان إلا التّصبّر واحتساب الأجر عند الله، وإذا اشتدت الحوادث وطال أمدها؛ كان ذلك إيذانًا بقرب انجلائها وحلول الفرج. وهذا المعنى هو ما تضمنته أبياته الآتية[٣]:

يا صابرًا: أبشِر، وبَشِّرْ مَن صَبَرِ
بالنَّصرِ والفرجَ القريبِ المُنتظرْ
نالَ الصّبُورُ بِصَبرِهِ ما يَرتَجِي
وَصفَتْ له الأوقاتُ مِن بَعْدِ الكَدَرْ
وإذا الحوادثُ أظلمتْ وتنكَّرَتْ
فاسكُنْ وإياك التّحرُّكَ والحَذَرْ
إنَّ النَّوائبَ كالسَّحائِبِ تَنْجَلِي
في سُرعةٍ، ووجودُها يُضحِي خَبَرْ
وإذا تطولُ إقامةٌ مِن حَادِثٍ
كانت مُبشّرَةً بطولِ المُنْتَظَر

فالتناص في الأبيات مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[٥]، ويبدو أن الشاعر لجأ إلى هذا التناص لمنح القيمة الإرشادية في أبياته هالة دينية تخلقت نتاج هذا التناص.

ونصح القاسم بن هتيمل[٦] بالتأسي بالصّبر وعدم الجزع، فالصبر هو السبيل لمواجهة المصائب والعثرات[١]:

(١) البستي، أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين: ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق: دريّة الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٩م:٢٦٢

(٢) طبقات فقهاء اليمن: ١٤٥-١٤٦

(٣) ديوان الإمام الحداد: ٣٧٨-٣٧٩

(٤) سورة الشرح، الآية ٥-٦

(٥) سورة الطلاق، الآية ٦

(٦) القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي الضمدي (ت ٦٩٦هـ)،أكبر شعراء اليمن في القرن السابع الهجري، تيقظت موهبته الشعرية مبكرة، وله ديوان

تـأَسَّ ولا تـجْـزَعْ، فقد قُضـيَ الأمرُ
وليسَ يضيرُ الشَّمسَ إنْ كَسَفَ البَدْرُ
عليكَ بحُسنِ الصَّبرِ، ما مِنْ مُصيبةٍ
وإنْ عَظُمَتْ إلّا أعاضَ بـها الصَّبرُ
فـلا تكـتـرثْ مِن عثْرَةٍ غلطتْ بها
صُـرُوفُ الـلـيـالـي، فـالـزَّمـانُ لـه عَثْرُ

ونصح بعض الشعراء بإخلاص الدعاء لله ـ عزّ وجلّ ـ والتوجه إليه في كل أمر مع التأكيد على ضرورة الإيمان بتفرّد الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ في إدارة شؤون الكون والإيمان – في الوقت نفسه – بالنعمة العظيمة التي منحها عباده، ومكنهم بها من القدرة على الاختيار، واتباع الصواب والحق، ولذلك لا بد من عضد تلك القدرة بالدعاء لمن يستحق الدعاء، والتّرفع عمَّن سواه، قال الحسن الهبل[٢]:

نصحتُكَ لا تطلبْ سِوى الله رازقًا
كَمَا لم تكن ترجو سوى الله غافرا
ولا تَدْعُ إلا الله في كلِّ حاجةٍ
تجدُهُ قَريبًا حِينَ تدعوهُ حاضرا

أتبذُلُ ماءَ الوجْهَ بَيعًا بِتَافِهٍ
وترجعُ صفرًا خاسرَ البيعِ صاغرا

ورأى يحيى جحاف [٣] أنَّ عناية الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعباده وإجابته دعواتهم مقرونة بإخلاص الدعاء، له والاستسلام له والخشوع بين يدي الدعاء [٤]:

إنْ شِئْتَ أن يُوْلِيكَ مِنه يدًا
فـامـدُدْ إلـيـهِ مُستغيثًا يَـدا
ونَـادِهِ مـجتـهدًا خـاشـعًا
مُستسلمًا، فهو مُجيبُ الدُّعَا
وَلُذْ بِـهِ في كلِّ حينٍ تَرَى
ما تَشتهيهِ مِن جَزيلِ النَّدَا

ولم تأتِ الدعوة إلى التّأسِي بالصبر من فراغ، فقد كانت نتيجة طبيعية للإيمان بالخالق ـ عز وجل ـ وتقبل قضائه وقدره، ولم تكن القيم الإرشادية الوعظية عند الشعراء حول هذا الموضوع متوافقة دائمًا، فمنهم من اعترف بوحدانية الله وتفرده في تصريف الأمور وتسيير أحوال الخلق، دون أن يعني ذلك الاعتراف استسلامًا محتومًا للقضاء والقدر، وإلقاء تبعات الحوادث والمصائب والأهوال عليها.. فالإيمان بالقضاء والقدر، وقدرة الإنسان

شعر كبير يدل على أنه وجّه شعره منذ شبابه إلى مديح أمراء المخلاف السليماني، كما وجهه إلى الرسوليين وأمرائهم وولاتهم وإلى الأمراء الزيديين.

ينظر: الخزرجي، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن وهاس: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ، دار الآداب ، بيروت ، ط١٩٨٣،١م: ٣٥–٣٧ ، ضيف، شوقي: تاريخ ب الأدب العربي (الجزيرة العربية)، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م: ١١٤ – ١٢٠

(١) ابن هتيمل، القاسم بن علي، درر النحور ديوان ابن هتيمل، تحقيق: د. عبدالولي الشميري، مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب، صنعاء، ط١٩٩٧،١م: ٣٢٢/١

(٢) ديوان الحسن الهبل: ٥٣٧

(٣) هو يحيى بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن المهدي بن جحاف الحبوري (ت ١١١٧هـ). كان عالماً أديباً ناظماً بليغاً بلغ الغاية القصوى في النظم والنثر. كتب للأمير يوسف بن المتوكل إسماعيل بن القاسم. كان يميل في شعره إلى الرقائق والغزليات. توفي بريمة وصاب.
ينظر: ملحق البدر الطالع:٢٢٥–٢٢٦، نشر العرف: ٨٠٠/٢–٨١٤ ١٠٨٦

(٤) جَحَّاف، يحيى بن إبراهيم، ديوان يحيى بن إبراهيم جَحَّاف المسمى (درر الأصداف من شعر العماد يحيى بن إبراهيم جحاف)، نسخة مصورة عن مخطوطة الهيئة العامة للآثار في الجامع الكبير بصنعاء، رقم (٢٣٢٥) أدب (خ): ٩٧/ب

على اختيار أقواله وأعماله لا يتعارضان، كما هو الحال في أبيات الحسن الهبل[١]:

لِخالِقِنَا – سبحانه – الحَلُّ والعَقْدُ
فلا زُحَلٌ نَحْسٌ، ولا المشتري سَعْدُ
حكيمٌ، عليمٌ، لا يُحَدُّ بِغَايَةٍ
فليسَ لهُ قَبْلٌ، وليسَ لـه بَعْدُ
يُصَرّفُ أحوالَ العِبَادِ بِحِكمَةٍ
ويعلم ما يَخْفَى لديهم وما يَبْدُو
ويُدْنِي الذي لا يُستطاعُ دُنُوَّهُ
ويدفعُ ما لَا يُستَطَاعُ لـــهُ رَدُّ
شقاءٌ وسَعْدٌ ذو الجَلالِ قَضَاهُمَا
على العبدِ، ما مِنْ واحدٍ منهما بُدُّ
وقد جعل التَّخييرَ غير مُضَيّقٍ
إلى العبدِ، فليذهبْ بما شَاءَهُ العَبْدُ

في حين دعا فريق آخر للاستسلام للقدر المحتوم، وفسّر به ما حلّ بالناس من مصائب ونكبات، ملقيًا تبعاتها على القدر، خائفًا من التّدخّل في مسائل الدين أو أمور الحاكمين، وعبّر عن هذه الروح السلبية ذات الطابع الاتكالي، أحمد الآنسي، عندما قال[٢]:

ومَا جَرَى قلمُ الرَّحمنِ مِن قِدَمٍ
إلا عَلَى حِكَمٍ ناهيكَ مِنْ حِكَمِ
ففوّض الأمرَ في الدُّنيا إليهِ يفِضْ
عليكَ ما شئتَ مِنْ بِرٍّ ومِنْ نِعَمِ
وسلِّ نفسكَ فيما قد قضاهُ، وقُلْ:
تباركَ الله مِن مُعْطٍ ومُنْتَقِمِ

- **حُسن الخلق والابتعاد عن الذنوب**

إذا كان حديث الشعراء عن التوجه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإخلاص العبادة اكتسى ثوبًا دينيًّا خالصًا، فإن كلامهم عن حُسن الخلق والابتعاد عن الذنوب جمع بين الجانبين: الديني والاجتماعي، فحرص المرء على الابتعاد عن ارتكاب الخطايا والذنوب يزيد في ميزان حسناته، لعلّ المولى ـ عزّ وجلّ ـ يَمُنُّ عليه ويغفر له، وذلك ما ذهب إليه عبدالله الحداد في أبياته الآتية [٣]:

وكُنْ تَائبًا مِـن كلِّ ذنبٍ أتيتَهُ
ومُستغفرًا في كلّ حينٍ مِن الوِزْرِ
عَسَى المُفْضِلُ المَولَى الكريم بمنَّهِ
يَجودُ على ذَنْبِ المُسيئينَ بالغفرِ
فإحسانُـهُ عَمَّ الأنَامَ، وجُودُهُ
على كلِّ موجودٍ، وإفضالُه يَجْرِي

ورأى الحسن الهبل أن التوبة والاستغفار هما البداية الفعلية لتلافي اقتراف المعاصي، ويجب على العبد مداومتهما، والتكفير عما فرّط فيه أيام شبابه. وقال[٤]:

يا أيُّها المُذنبُ ما لِي أَرَى
أَمْنَكَ مِن ذَنبِكَ أَمْنَ البَرِي
ضيَّعتَ في اللذاتِ وقتَ الصّبَا
ورُحتَ في اللهوِ ولم تَقْصُرِ
فتُبْ إلى الله وخَفْ مَكْرَهُ
وابْكِ على ذنبِكَ واستغفرِ
والبسْ دروعَ الحُزنِ مِن خَوفِهِ
تُغنيكَ عن درعٍ وعن مِغْفَرِ

(١) ديوان الحسن الهبل: ١٠١
(٢) ديوان أحمد الآنِسِي (خ): ٣/ب
(٣) ديوان الإمام الحداد: ٢٣٥-٢٣٦
(٤) ديوان الحسن الهبل: ٨٩

والتحلي بالأخلاق الحميدة، يباعد بين المرء وبين طريق الزلل، ويلطف تعامله مع الآخرين، ويزين صورته أمامهم. وكمال الأخلاق وحسنها يتطلب أمورًا عدّة، ذكر عبد الله الحداد بعضًا منها في الأبيات الآتية [١]:

وكُنْ وَقورًا خَشوعًا غيرَ مُنهمِكٍ
في اللهوِ والضَّحكِ والأفراحِ واللعِبِ
ونَـزِّه الصَّدرَ مِن غشٍّ ومِن حَسَدٍ
وجانِبِ الكِبْرَ – يا مسكين – والعجبِ

وارضَ التَّواضعَ خلقًا، إنَّه خُلُقُ الـ...
... أخيارِ، فَاقْتَدْ بهم تنجُو من الوَصَبِ

وأكد أبو بكر الأهدل[٢] أنه ينبغي تتويج حسن الخلق بطلب العلم، والمداومة على تحصيله. وقال في الحث على رفعة المكانة، وتكامل السمات، ونيل المعالي[٣]:

إنْ كنتَ تطلبُ في الدَّارينِ تَفضيلًا
وتبتغي مِن مليكِ الكونِ تكميلا
دَاوِمْ على العلمِ والفعلِ الجميلِ تَنَلْ
ذِكرًا جميلًا وتكميلًا وتَوصيـلا
فاطلبهُ وادأبْ على تحصيلهِ أبَدًا
وقُمْ بتـأليفهِ إنْ حـزتَ تـأهيلا

وأنفِق العُمرَ في تحصيلِ حاصلِهِ
واعمُرْ بـهِ الدَّهرَ تَدوينًا وتَحصيلا

والقرآن الكريم هو أقدس العلوم وأشرفها وأسماها، والإقبال عليه بتلاوته، وتدبر آياته، والأخذ بأوامرها، والابتعاد عن نواهيها.. كل ذلك يمنح الإنسان التقدير والاحترام من المجتمع، ويزيد في ميزان حسناته، ويرفع من درجاته عند خالقه، كما قال عبد الله الحداد[٤]:

وواظبْ على درَسِ القرآن، فإنَّ في
تلاوتِه الإكسيرَ والشَّرحَ للصَّدْرِ
ألا إنّهَ البحرُ المحيطُ، وغَيرُه
مِن الكُتْبِ أنهارٌ تُمُدُّ مِن البحرِ

- **التحذير من الدنيا**

مما لاشك فيه أن تقلّب الدنيا وسرعة زوالها لا يحتاج إلى كبير ذكاء ولا طول تفكير وتدبّر كي يدرك، فإن الدنيا تظهر دائمًا مسفرةً للناس بلا نقاب، ومع هذا يقبلون عليها ويكدحون في طلبها، ويجعلونها غاية مساعيهم وآمالهم، ويتفاضلون بمكاسبها الزائلة ومباهجها المزيفة. وقليلٌ هم الذين وقفوا على حقيقتها وأدركوا جوهرها، ومن ثم انبروا يوظفون القيم الإرشادية يعظون المجتمع ويحذِّرون أفراده من الاغترار بها، وتناسي دار الخلود. وذلك ما عبرت عنه الأبيات الآتية للحسن الهبل[٥]:

أينَ استقرَّ السَّلفُ الأوَّل
عَمَّا قـريـبٍ بِـهمُ نـَنْزِلُ
مَرُّوا سراعًا نحو دارِ البَّقَا
ونحنُ في أثـارهـم نَـرْحَلُ

(١) ديوان الإمام الحداد: ٥٧

(٢) هو: العالم الحافظ أبو بكر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد ابن أبي بكر الأهدل (ت ١٠٣٥هـ) ، تلقى علومه على يد علماء زبيد وتهامة، وتحصّل على إجازة من معظم شيوخه، ومن علماء الحرمين الشريفين. ترك بعض المؤلفات الدينية. ينظر: المحبي، محمد بن أمين الله (ت١١١١هـ) ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د.ت: ٦٤/١-٦٨

(٣) زبارة، محمد بن محمد، ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت :١٤

(٤) ديوان الإمام الحداد: ٢٣١

(٥) ديوان الحسن الهبل: ٨٥

ما هذهِ الدُّنيَا لنَا مَنزلًا
وإنّمـا الآخــرةُ المـنزِلُ
قد حذَّرتنا مِن تصاريفِهَا
لو أننـا نسمعُ أو نَعقلُ

وقال عبدالله الحداد: إنّ الحذر من متاع الحياة الدنيا الزائف، والسعي الجاد في طلب دار الكرامة، والهناء الدائم يلازمان كل مؤمن يطلب السعادة الأبدية. فما هذه الدار الدنيا إلا دار عناء وبلاء[١]:

أيُّها الناس اتقوا دار الفَنَا
واحـذرُوهَا، إنّها رأسُ العَنَا
واطلبُوا دارَ الكَرامة والهَنَا
والنعيمَ المَحْضَ والمُلْكَ الكبيرْ
كيف ترضونَ بدُنيَا لا تدومْ
حُشِيَتْ شُغلًا وبُؤسًا وهُمومْ
وعـنــاءً وبــلاءً وغـمـومْ
فارفضوهَا، إنَّها النَّزرُ الحقيرْ

ويلاحظ هنا أن الشاعر نوّع قوافيه، وكأنها إشارة ولفتة إلى تنوع الدنيا وتقلّبها من حال إلى حال.

وإذا كانت الدنيا على هذه الحال التي صورها فيها عبدالله الحداد، فإن الزهد في ملذاتها هو الطريق الأمثل والعلاج الأنجع لمن أراد أن يُحصّن نفسه كما قال محمد ابن عبد الله شرف الدين[٢]:

صاحِ إيَّاكَ والرُّكُون إلى الدَّنـ
ـيَا، فإنَّ الرَّحيلَ عنها قَرِيبُ
كُنْ بِها مِثْلَ عابرٍ لِسَبيلٍ
وغـريبٍ، فأنتَ فيها غـريبُ
فالحياةُ الدُّنيا طريقٌ إلى الأخـ
ـرَى وما استوطنَ الطَّريقُ لَبيبُ

وفي هذا الشأن رأى عبد الله بن يعلي الصليحي[٣] أن الغِنَى الحقيقي هو غِنَى النفس، أما المال فهو زائل، وأكدوا
أن الودائع التي يجب أن يحتفى بها هي الجمائل والأعمال الحسنة التي يخلّدها الزمن، وتحفظ ذكرها الأيام[٤]:

إنَّ الصَّنَائعَ في الكِرامِ ودائعٌ
تَبقَى ولو فَنِيَ الزَّمانُ بِأسرِهِ

وحوادث الأيام، بمسراتها وأحزانها، تمثّل جانبًا مهمًّا من جوانب مغرياتها، التي ينبغي لكل ذي فطنة ألّا يفرح لها أو يأسى عليها، فمصير كلٍّ إلى الزَّوال، واقتناص الفرص واستغلال الأوقات في الطاعات، والابتعاد عن المعاصي وسائل مثلى للإعداد للآخرة، فالعمر يجب ألا ينفق في غير ذلك' وفي هذا المعنى نقرأ الأبيات الآتية لعبدالله الحداد [٥]:

(١) ديوان الإمام الحداد: ٣٤٦

(٢) ديوان محمد بن عبد الله شرف الدين (خ): ١٨/ب

(٣) السلطان عبد الله بن يعلى الصليحي، من أقارب ملك الدولة الصليحية في اليمن علي بن محمد الصليحي، لم تذكر المصادر شيئًا عن تاريخ وفاته، ويبدو أنه عاش بعد الملك علي الصليحي الذي توفي سنة ٤٥٩هـ، تولى إمار حصن خَدُّ، وأمر ببناء مدينة جِبْلَة وتولى إمارتها حتى توفي. كان شاعرًا أديبًا.
ينظر: الأصبهاني، أبو عبد الله عماد الدين الكاتب محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين، (ت ٥٩٧هـ): خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: محمد بهجة الأثري وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٥م: ٣ / ٢٢٩

(٤) نفسه: ٣/٢٣٠

(٥) ديوان الإمام: ٨٣-٨٤

البِدَارَ البِدَارَ قبل الفوَاتِ
إنَّما أنتَ عُرضَةُ الآفـاتِ
بَادِرِ الفَوْتَ قبلَ أن تَقْطَعنكَ
دونَ ما تبتغِي حُتُوفُ المَمَاتِ
مـا أراكَ مُشمّرًا والـلـيالي
سوفَ تُدنِي إليكَ مـا هُوَ آتِ
إنَّما رأسُ مالِكَ العُمرُ، فَاعْمُرْ...
.. هُ بفعلِ الجميلِ والمَكرُمَاتِ
واتــخــذْهُ مطـيَّةً تمتطِيهَا
في سُلُوكِ السَّبيلِ للدَّرَجـاتِ
وجــوادًا تَـطْـوِي عليه مَدَى هَـ
ـذهِ الدُّنيَا؛ لِتَبلُغَ الـغَـايَاتِ

وحاول الشعراء أن يوظّفوا الشيب في التحذير من الدنيا بوصفه نذير الرحيل القادم، والرغبة عن هوى الدنيا، والعزوف عن ملّذاتها ومباهجها ... والشيب، عند أحمد البريهي [١] فوق كل ذلك خير واعظ[٢]:

أترجو، وقد جَاوزتَ ستّينَ حُجّةً
لَذَاذَةَ عَيشٍ، إنَّ ذاكَ مِنَ الجَهلِ
يُرِيك الهَوى أنَّ الفُوَى فيكَ كالفُوَى
بمقتبلِ غَضّ الـشَّبيبـةِ أو كـهلِ

وأكد أحمد بن سليمان [٣]على المعنى نفسه بقوله[٤]:

وكنتُ امرؤًا ذَا قُوَّةٍ في شَبِيبَتِي
فأصبحتُ مُخْضَرَّ الشَّبِيبَةِ ذَاوِيَا

ورآه محمد بن الحسن الجلال[٥] منذرًا صارخًا بدنوّ النهاية المحتومة لرحلة العمر، فهو خير رادع للنفس وخير واعظ [٦]:

أرى الشَّبابَ تَوَلَّى وانقضَى العُمُرُ
فَمَا الذي بعد هذا صار يُنْتَظَرُ
وما اغتباطُ الفَتَى بالعيشِ في زَمَنٍ
فيـهِ تَـرادفتِ الآفـاتُ والغِيَرُ

وفي المعنى نفسه وعظ أحمد بن سليمان مذكّرًا بالموت والشيب، فقال[٧]:

فيا أيُّها المغرورُ، أقْصِرْ عن الهَوَى
وأقبلْ إلى التَّقْوَى، لا تَكُ لاهِيَا

ولعل التوبة النصوح تشفع لصاحبها، وتكفّر عن مساوئه أيام طيشه وشبابه، كما قال عبد الله الحداد[٨]:

وَلَّى الصِّبَا وانقضَى الشَّبابُ
وخَيَّمَ الشَّيبُ في الرُّؤوسِ

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله ابن مسعود بن سالم البُرَيْهي (ت ٥٨٥هـ)، سكن مدينة إبّ وأفضت إليه الرياسة فيها، جمع بين الزهد والورع والعلم والحديث، ارتحل إلى مكة وسمع فيها (صحيح مسلم)،ثم رجع إلى مدينة إبّ ثم نزل الجَنَد، له عدد من القصائد والمقطوعات الشعرية جلّها في الزهد. ينظر: طبقات فقهاء اليمن: ١٩٠ – ١٩١

(٢) نفسه: ١٩١

(٣) أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر الحسني (ت ٥٦٦هـ) ،اشتهر بالفصاحة والبلاغة نظمًا ونثرًا، وله العديد من المؤلفات العلمية، وله قصائد ومقطوعات مجموعة. ينظر: أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر الحسني (ت ٥٦٦هـ)، اشتهر بالفصاحة والبلاغة نظمًا ونثرًا، وله العديد من المؤلفات العلمية، وله قصائد ومقطوعات مجموعة. ينظر: الشامي، أحمد بن محمد: تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي، منشورات العصر الحديث، ط١، ١٩٨٧م: ٤٥٤/١-٤٥٩.

(٤) نفسه :٤٧٠/١

(٥) هو: محمد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح ابن أحمد بن الهادي بن الجلال (ت١١٠٤هـ). كان من أصفياء الإمام المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل ووزرائه عندما كان أميراً بصنعاء، قبيل رئاسته، وخطب له في جامع مدينة معبر، ترك العديد من المؤلفات والأشعار. ينظر: نشر العرف: ٥٦٤/٢-٥٦٦، ملحق البدر الطالع: ١٩٥

(٦) نشر العرف: ٥٦٥/٢ – ٥٦٦

(٧) تاريخ اليمن الفكري: ٤٧١/١

(٨) ديوان الإمام الحداد: ١٩٩

وآذَنَ الـعُـمـرُ بـالـذَّهـابِ
وبالمَسير إلى الرُّمُوسِ
عَسَى عَسَى يَحصلُ المَتَابُ
والعفو مِن بَارِئ النُّفُوسِ

- **الحياة والموت**

برزت القيم الإرشادية في رؤى الشعراء الخاصة المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف، حول الحديث عن الحياة والموت.

وذمَّ نشوان الحميري[١] كل من جُبلتْ نفسه على حبّ الدّنيا والتعلّق بها، فقال[٢]:

مَنْ أحبَّ الحَيَاةَ مَاتَ ذليلًا
واحتَسَى السُّمَّ قَبلَ ذَلكَ حَيّا
مَا تَرَى في الجَبَانِ مِن قَدَرِ الـ
ـلّه المُوَفَّى يَزِيدُ في العُمرِ شَيّا

ورأى أحمد بن سليمان أن في تقادم السنين به ونقص قوته عبرةً اتعظ بها، جعلته يزهد في الدنيا، ويضع الآخرة نصب عينيه، قائلًا [٣]:

هَبيني نسيتُ الموتَ والبعثَ فينةً
ومـا كـانَ مِـن عِلـمِ الغُيـوبِ وَرائِيَـا
أَلَمْ اعتبِرْ نفسِي ونُقصَانَ قُوَّتِي
ولم أَكُ للمَوتِ المشاهـدِ نَـاسِيَـا

ورأى الخطاب الحجوري الموت جسرًا شكّل عائقًا يمنعه من لقاء أحبته، وبعد أن كان الشاعر يرهب الموت، عاد ليرحب به، أملًا في لقاء أحبابه[٤]:

أرى الموتَ جِسْرًا والأحبَّة خَلْفَهُ
وعـابِرُهُ مِـن أسـعدِ السُّـعَدَاءِ
وقد كانَ رأيِي أنْ أكونَ وراءَهُ
فـعُـدْتُ ورأيِـي أنْ يـكـونَ وَرائِـي

كما استغل بعض الشعراء عن حتمية الموت في تأكيد زوال الدنيا وخلود الآخرة، ووجوب شدّ الرحال والاستعداد للانتقال. وهذا المعنى ظهر في قول الحسن الهبل [٥]:

الموتُ حقٌّ، فاستعِدْ
وجِدَّ إنَّ الأمرَّ جِدْ
واعـلَـمْ بـأنَّ اللهَ لا
يَخْلِفُ، حَقًّا، ما وَعَدْ
سوف تُرَى عَمَّا قَرِيـ
ـبٍ واردًا فِيمَنْ وَرَدْ

وتعجّب الحسن الجلال[٦] من تغافل اللبيب عن نهايته، وإقباله على الدنيا كأنه مخلد فيها! وقال[٧]:

عجبتُ لمؤمنٍ بالموتِ يَسعَى
إلى الدُّنيَا بعزمٍ واحتفالِ
تَمُرُّ بِهِ الحوادثُ كلَّ يومٍ

---

(١) نشوان بن سعيد الحميري، أبو سعيد، أو أبو الحسن (ت ٥٧٣ هـ)، من نسل حسان ذي مراثد من ملوك حمير: قاض، علامة باللغة والأدب، ترك العديد من المؤلفات، من أشهرها (شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم)، وله قصيدة يفخر فيها بقحطان على عدنان تسمى (القصيدة الحميرية ،وتسمى النشوانية)، ينظر: الأعلام: ٨ / ٢٠

(٢) اليمني (ت ٥٦٩ هـ)، نجم الدين عمارة بن علي، تاريخ اليمن المسمى: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١٩٧٦،٢م: ٣١٠

(٣) تاريخ اليمن الفكري: ٤٧٠/١

(٤) السلطان الخطاب: ١٢٤

(٥) ديوان الحسن الهبل: ١٥٩

(٦) هو العلامة المجتهد الحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح الجلال(ت ١٠٨٤هـ). وُلِدَ بِزُعَافَة، من جهات بلاد صعدة، وانتقل إلى صعدة ثم شهارة لطلب العلم. صنَّف الكثير من الكتب والرسائل، وشرح بعض المؤلفات، وقصده طلاب العلم. ينظر: خلاصة الأثر: ١٧/٢-١٨، البدر الطالع: ١٩١/١-١٩٤: نشر العرف: ٥٦٨/٢-٥٨١

(٧) نشر العرف: ٥٨٠/٢

فيُمْسي لا تَمُرُّ لَهُ بِبَالِ

ويغدُو لاهِيًا فَرِحًا حَرِيصًا

يَسُومُ فؤَادَهُ طَلَبَ المحَالِ

وفي معرض خطاب النفس ووعظها، حذَّر عبد الله الحداد من هول يوم الوعيد، وجحيم نار وقودها الناس والحجارة [١]:

واستيقِنِي أنَّ بَعْدَ المَوتِ مُجتمعًا

للعالمينَ، فتأتي العُجْمُ والعَرَبُ

والخلقُ طرًّا، فيجزيهُمْ بِمَا عَمِلُوا

في يومِ لا ينفعُ الأموالُ والحَسَبُ

واخشَي رُجوعًا إلى عدلٍ، تَوَعَّدَ مَنْ

لا يتَّقِيهِ بنارٍ حشوُهَا الغَضَبُ

وقودُهَا النَّاسُ والأحجارُ، حاميةٌ

لا تنطَفِي، أَبَـدَ الآبَادِ تَلتَهِبُ

الخاتمة

الحمد لله الذي بِنِعْمَتِهِ تتم الصالحات، وبشكره تدوم النعم، الحمد لله الذي بتوفيقه وتيسيره تصلح الأمور وتتم كُبرى النعم، الحمد لله حمدًا لا ينفد أوله، ولا ينقطع آخره. وبعد، فقد تفاوتت مظاهر تصوير القيم الدينية عند شعراء اليمن في العصور المتأخرة على النحو الآتي:

- ترجمت لحظات التأمل والتفكّر المشاعر والأحاسيس التي اكتنفت الشعراء في أوقات المراجعة مع النفس والصفاء الروحي؛ فصدرت مناجاتهم عن نفوس شفّت وعذب وردها، فتوجهوا بكل مشاعرهم نحو خالقهم، معبرين عن حبّهم العميق، وإيمانهم به، مظهرين توبتهم وندمهم على ما اقترفوه من ذنوب وخطايا، ومرددين عبارات التسبيح كثيرًا في مناجاتهم، ومعبَّرين عن عظيم ثقتهم بالله.
- أيقن بعض هؤلاء الشُّعَرَاء أن السبيل إلى النجاة من مصائب الدنيا وكربها هو الدعاء والرجوع إلى الله، وعبّر شعرهم عن ذلك اليقين.
- جاءت بعض القصائد والمقطوعات محمَّلة بلذعة ندم على التهاون والانسياق مع شَرَه الشباب وغوايته، وسارع بعضهم إلى إظهار جزعه وخوفه من الوقوف بين يدي الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، وانتظار الجزاء والحساب.
- قرن الشُّعَرَاء أدعيتهم وطلباتهم المباشرة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالتوسل إليه والاستشفاع بمن يحب، وبما يحب، ومنهم من توسل بسور القران العظيم، كما رأى كثير من الشُّعَرَاء في شخصية الرسول الأعظم (ﷺ)خير وسيلة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، وثمة شعراء آخرون خاطبوا الرسول الكريم (ﷺ) خطابًا مباشرًا، ووجهوا توسلاتهم إليه، فيما يشبه الخروج عن مألوف الشعراء.
- كان الشكر والثناء مستهلًا لكثير من القصائد التي كان الشعراء يحرصون فيها على إضفاء ما يشبه الهالة الدينية عليها؛ ولذلك كان بعضهم يحرص على افتتاح قصيدته بمثل هذا الحمد والثناء، ويختمها بالصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد(ﷺ).
- كان اعتراف الشعراء بالذنوب والخطايا إيمانًا منهم بالقضاء والقدر، وما على الإنسان إلا التّصبّر واحتساب الأجر عند الله، وإذا اشتدت الحوادث وطال أمدها؛ كان ذلك إيذانًا بقرب انجلائها وحلول الفرج.
- لم تكن القيم الإرشادية الوعظية عند الشعراء حول هذا الموضوع متوافقة دائمًا، فمنهم من اعترف بوحدانية

(١) ديوان الإمام الحداد: ٨١

الله وتفرده في تصريف الأمور وتسيير أحوال الخلق، دون أن يعني ذلك الاعتراف استسلامًا محتومًا للقضاء والقدر، وإلقاء تبعات الحوادث والمصائب والأهوال عليها.. في حين دعا فريق آخر للاستسلام للقدر المحتوم، وفسّر به ما حلّ بالناس من مصائب ونكبات، ملقيًا تبعاتها على القدر، خائفًا من التّدخّل في مسائل الدين أو أمور الحاكمين.

- جمع الشعراء، في إطار كلامهم عن حُسن الخلق والابتعاد عن الذنوب، بين الجانبين: الديني والاجتماعي، ورأوا أن التوبة والاستغفار هما البداية الفعلية لتلافي اقتراف المعاصي، وأكدوا أنه لا بد من تتويج حسن الخلق بطلب العلم، والمداومة على تحصيله.
- وظّف الشعراء بعض التقنيات الفنية في هذا الشعر، ولا سيما في الجانب الصوتي الإيقاعي، وأفادوا بشكل لافت من:
  - التأثيرات الصوتية والدلالية للجناس، والموازنة، والتصدير، والتطريز، وتعدد القوافي.
  - التناص مع القرآن الكريم، والشعر العربي.
  - استدعاء الشخصيات الدينية والتاريخية والإفادة من القوة الإيحائية فيها
- ظهر الشعراء في كثير من النماذج الشعرية السابقة دعاةً مصلحين تحمّلوا عبء النصح والإرشاد المجتمعي، ووظفوا شعرهم في هذا السياق، وتلوّن شعرهم كثيرًا بالقيم الدينية التي منحته هالة من السمّو الديني.

المراجع

١. الآنِسِي، أحمد محمد، ديوان أحمد الآنِسِي المسمى (العلم المفرد من شعر السيد أحمد)، نسخة مصورة عن مخطوطة الهيئة العامة للآثار في الجامع الكبير بصنعاء، رقم (٨٥١)، مجاميع.

٢. الأصبهاني، أبو عبد الله عماد الدين الكاتب محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين، (ت٥٩٧هـ): خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: محمد بهجة الأثري وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٥م.

٣. البرعي، عبد الرحيم بن أحمد، ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، القاهرة، د ت.

٤. بركات، أحمد لطفي، في فلسفة التربية، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٨٦م

٥. جَحَّاف، يحيى بن إبراهيم، ديوان يحيى بن إبراهيم جَحَّاف المسمى (درر الأصداف من شعر العماد يحيى بن إبراهيم جحاف)، نسخة مصورة عن مخطوطة الهيئة العامة للآثار في الجامع الكبير بصنعاء، رقم (٢٣٢٥) أدب.

٦. الجراري، عباس، مفهوم القيم وفلسفتها واشكالية الواقع والمثال في منظور الإسلام، ندوة حوول "أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر"، الدورة الربيعية لسنة ٢٠١٠، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الدورات"، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

٧. الجعدي، عمر بن علي بن سمرة "ت ٥٨٧ هـ"، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٧م.

٨. جغمان، إسماعيل بن أحمد "ت القرن ١٤هـ"، سيرة أهل البيت، مخطوطة في مكتبة الهيئة العامة

للآثار في الجامع الكبير في صنعاء، رقم (٣٦) مجموع.

٩. الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف (ت ما بين ٧٣٠ – ٧٣٢هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد صنعاء، ج١، ط٢، ١٩٩٥م.

١٠. الحداد، عبدالله بن علوي بن محمد: ديوان الإمام الحداد المسمى (الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم)، الناشر:عبدالقادر جيلاني سالم الخرد، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١م.

١١. حسان، عبدالحكيم، التصوف في الشعر العربي، نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م.

١٢. حسين، إسماعيل قربان (تحقيق)، السلطان الخطاب: حياته وشعره، دار المعارف، القاهرة، د.ت

١٣. خواجي، مجدي بن محمد: محمد بن حمير الهمداني شاعر الدولة الرسولية في القرن السابع الهجري حياته وشعره.. دراسة موضوعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٤. ابن أبي الرِّجَال علي بن صالح، ديوان علي بن صالح بن أبي الرِّجَال، نسخة مصورة عن مخطوطة القاضي أحمد بن أبي الرِّجَال.

١٥. زبارة، محمد بن محمد، ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

١٦. زبارة، محمد بن محمد، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، د. ت.

١٧. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٠٠٢،١٥م

١٨. السجلماسي، أبو محمد القاسم الأنصاري (ت نحو ٧٠٤هـ): المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط١، ١٩٨٠م.

١٩. الشامي، أحمد بن محمد: تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي، منشورات العصر الحديث، ط١، ١٩٨٧م.

٢٠. شرف الدين، ديوان محمد بن عبدالله بن شرف الدين: ديوان محمد بن عبدالله بن شرف الدين المسمى (الروض المرهوم والدّر المنظوم)، نسخة مصورة عن مخطوطة الهيئة العامة للآثار في الجامع الكبر بصنعاء، رقم (٢٢٦٣)، أدب.

٢١. الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. د. ت.

٢٢. عبد الرحمن، سعد، السلوك الإنساني، تحليل وقياس التغيرات، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٩٨٣م.

٢٣. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت نحو٣٩٥هـ): الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٤. ابن المتوكل، ديوان الحسين بن المُتَوَكِّل، ملحق بديوان يحيى جحاف، نسخة مصورة عن مخطوطة الهيئة العامة للآثار في الجامع الكبير بصنعاء، رقم (٢٣٢٥)، أدب.

٢٥. ابن المتوكل، ديوان علي بن المُتَوَكِّل، نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة وزارة الأوقاف في الجامع الكبير بصنعاء، رقم (١٩٥٢)، أدب.

٢٦. المجذوب، عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب ابن محمد بن أحمد بن محمد: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الآثار الإسلامية– وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، ط١٩٨٩،٢م

٢٧. المحبّي، محمد أمين الله بن فضل الله بن محب الدين بن محمد (ت١١١١هـ)، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٨م.

٢٨. المحبي، محمد بن أمين الله (ت١١١١هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د. ت.

٢٩. مسعود، عبد المجيد بن، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، الدوحة، قطر، ع ٢٧، ١٩٩٩م.

٣٠. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣١. الهَبَل، الحسن بن علي بن جابر، ديوان الهَبَل، حقّقه أحمد بن محمد الشامي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط١، ١٩٨٣م.

٣٢. ابن هتيمل، القاسم بن علي، درر النحور ديوان ابن هتيمل، تحقيق: د. عبدالولي الشميري، مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب، صنعاء، ط١، ١٩٩٧م.

٣٣. اليمني (ت ٥٦٩ هـ)، نجم الدين عمارة بن علي، تاريخ اليمن المسمى: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م.